من

روائع البيان في القرآن

(بلاغة التنزيل ودقة النظم المبين)

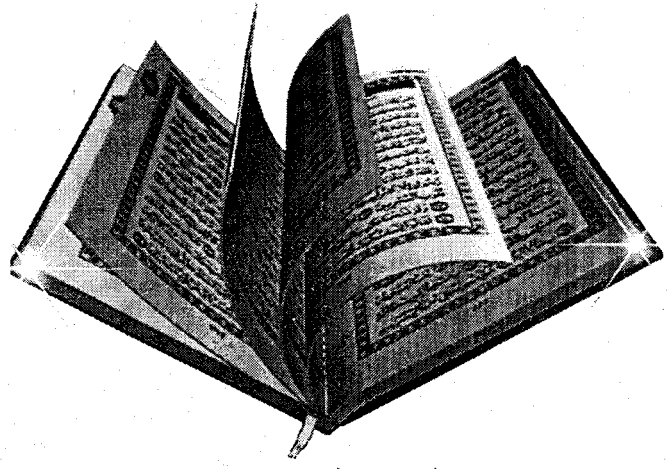

الباحث الإسلامي

السيد حامد السيد على

مراجعة وتقديم

الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

• للإتصال بالمؤلف

ت محمول : ٠١٠١٩٢٥٧٦٥

ت المنـزل : ٠٤٨٢٥٩٨٦٣٦

العنوان: المنوفيـة – قويسنا –
كفر الشيخ ابراهيم

e-mail: engelsayed208@yahoo.com

طبع بمطابع الو لاء الحديثة

رقم الإيـداع

١٩٠٠٤ / ٢٠٠٤

مقدمة بقلم : الدكتور/ عبد العظيم المطعني

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) (الكهف:١)

نحمده حمد الشاكرين لنعمائه وآلائه على الخلق أجمعين ، وأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس وأن بعث فينا خاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وسلم –وأنزل عليه خير كتبه –قال سبحانه وتعالى : (قُرْءاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر:٢٨) – كتاب لاتنقضي عجائبه ولايجف زهره ، ولايتوقف عطاؤه ، على مدى العصور والدهور – وهذا بحث في كتاب الله عز وجل قام به الباحث/ السيد حامد السيد – تالياً لأبحاث أخرى كتبها في هذا المجال القرآني الفسيح ، وُفِقَ فيها كلها ، وأَحْسن وأَجاد- وقدم للقراء تحفا علمية عالية الشأن–وفي هذا البحث تابع المؤلف جهوده السابقة بشفافية الإيمان ووعي العلم ،وصدق البحث، ففتح الله له مغاليق بعض أسرار كتابه.ومنهج الباحث في بحثه هو السعي الدءوب وراء بعض أنماط التعبير في القرآن والمتشابه اللفظي والمعنوي ، ومحاولة الوصول إلى سر اختلاف النظم في الآيات التي وقف أمامها الباحث وعلى سبيل المثال قول الحق سبحانه وتعالى : (هَارُونَ أَخِي) (طه:٣٠) وقوله سبحانه في سورةالقصص (من الآية٣٤) (وَأَخِي هَارُونُ ..) – وقول الذكر الحكيم على لسان مريم عليها السلام : (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) (آل عمران: من الآية٤٧) – وفي سورة مريم الآية ٢٠ (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ)– وهكذا تتبع أمثال هذه التعبيرات القرآنية الجليلة باحثا ومتأملا، يحاول أن يستخرج منها بعض كنوزها ، وبيان دقة وإعجاز الألفاظ القرآنية في كل موضع لها في كتاب الله ،كذلك روعة البيان القرآني المعجز والذي لاينتهي عطاؤه لكل من يحاول أن يتدبر آياته ،ومن محاسن منهج المؤلف في دراسته تلك، أنه يذكر أولا ما قاله غيره من المفسرين والباحثين ثم يدلي بدلوه في الموضوع إما موافقا أو مضيفا أو مخالفا – إنه بحق بحث ممتع وطريف- نباركه وندعو لكاتبه بدوام التوفيق – والحمد لله على ما أنعم به ،وأعطى من علم في كتابه (وَهُوَ اللَّهُ لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ) (القصص: من الآية٧٠) والله الموفق

الدكتور / عبد العظيم ابراهيم المطعني

الثلاثاء ١٠/٨/ ٢٠٠٤ الموافق ٢٤ جماد آخر ١٤٢٥هـ

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين فقال عز وجل :

(وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (١) – أما بعد- قال رب السموات والأرض في محكم التنزيل:(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٢) – وعملا بما تشير إليه هذه الآية الكريمة- من تدبر لكتاب الله – دعوت الله عز وجل ، أن يعينني على أن أقدم بحثا للقارئ العزيز يكون له معينا لتدبر بعض آيات القرآن الكريم ، وظهر لي الكثير من بلاغة كتاب الله ، ودقة ألفاظه ، وروعة بيانه ، فهو كلام الله عز وجل ، ولن تنتهي عجائبه ، كذا أوجه إعجازه ـ وكان عليَّ أن أجمع أيضا جهدا قام به الكثيرون من قبلنا – لكي يجد القارئ بين يديه حصيلة علم ، علمه الله عز وجل لبعض من اختصهم الله لذلك العلم ممن سبقونا

قال سبحانه وتعالى : (الرَّحْمَنُ) (عَلَّمَ الْقُرْءانَ) (٣)

– وإني من خلال مقدمة هذا الكتاب أدعو جميع المسلمين أن يعكفوا على كتاب الله ويتدبروا آياته ، ويبلغوها للأجيال القادمة – وهذا يسير على كل من أخلص العمل في كتاب الله – ليكون عملهم سهما ينفذ عبر الزمان والمكان – حيث يريد الله – ويكون خلود ذِكْرهم مستمدا من خلود كتاب الله عز وجل– وليصبحوا كالنجوم في السماء ، فالنجم الذي نراه في السماء في ظلمات الليل ماهو إلا ضؤه الأثري– جاءنا من موقعه هذا – عندما مر عليه النجم منذ مئات السنين وربما من آلاف وملايين السنين ،وربما يكون النجم قد مات ، ونوره هو الباقي، هكذا يكون علم العاملين في كتاب الله ، يواريهم التراب منذ مئات السنين وعلمهم باقٍ أسأل الله عز وجل أن يعيننا على خدمة كتابه الحكيم الذي قال الحق فيه : (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٤)

---

(١) (الأنبياء:١٠٧) (٢) (محمد:٢٤) (٣) (سورة الرحمن (١ ، ٢)

(٤) (فصلت:٤٢)

سورة الفاتحة

- روى الإمام أحمد في المسند أن أبي بن كعب قرأ على النبي (صلى الله عليه وسلم) أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **والذي نفسي بيده ما أُنزِل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** ﴾ (١)

سؤال : لماذا حُفيت ألف الوصل في ﴿ **بسم** ﴾ و ظهرت في قوله تعالى في (سورة الواقعة:٧٤) :(**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**)

الجواب لأن كلمة "اسمٌ إذا كانت في أول الكلام وكانت مجرورة بالباء تكتب بلا ألف (**بسم**)

- ويقول ابن قتيبيه: في كتابه (٢):: " فتكتب (بسم الله ..) إذا افتتحت بها كتابا أو ابتدأت بها كلاما بغير ألف ...)

سؤال : ما معنى (الرحمن) ؟ وما معنى (الرحيم) ؟.. ـ ولماذا قَدَّم الرحمن على الرحيم ؟

الإجابة :- (**الرحمن والرحيم**) : صفتان مشتقتان من الرحمة - وقد رُوعي في كل من (**الرحمن**) و (**الرحيم**) معنى لم يراع في الآخر ـ (**فالرحمن**) : بمعنى عظيم الرحمة، لأن " فعلان " صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمته ، ولايلزم منه الدوام ، و(**الرحيم**) بمعنى: دائم الرحمة لأن صيغة " فعيل " تستعمل في الصفات الدائمة: ككريم وحليم ـ **فكأنه قيل : العظيم الرحمة ، الدائم الإحسان**

و(**الرحمن**) : لايُوصف بها غيره سبحانه وتعالى ، و(**الرحيم**) : يُوصف بها غيره (٣)ولقد قدم ذكر صفة "الرحمنٌ" على"الرحيمٌ" ، لاختصاص الأولى به سبحانه وتعالى ، دون الثانية ، وقيل لكونه سبحانه وتعالى رحمٰن الدنيا ، رحيم الآخرة

---

(١) صفوة التفاسير : للصابوني ص ٢٤

(٢) أدب الكاتب ص١٨٩

(٣) أضواء على متشابهات القرآن ج ١ ص ٨

قال تعالى الآية (٥) : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قَدَّم الحق سبحانه وتعالى العبادة على الاستعانة رغم أن فهمنا يقتضي أن تكون الاستعانة به سبحانه أولا حتى تتحقق العبادة _ لكن الحق سبحانه وتعالى قَدَّم العبادة على الاستعانة لأن العبادة سبب حصول الإعانة منه على العبادة

********** ********** **********

سورة البقرة

الآية (٢) : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾

لم يقل : (لافيه ريب) لأن (**لا رَيْبَ فِيهِ**) : نفي عام - أى لارتياب فيه ، ولاشك فيه، وأنه حق - كذلك إذا قلنا : "لاعيب في الدار " كان معناه نفي العيب عن الدار (نفيا مطلقا) أما إذا قلنا لا في الدار عيب كان معناه : أنها تفضل على غيرها بعدم العيب ، فالأولى(لاعيب في الدار) أقطع بامتناع وجود العيب ، كذ(**لا رَيْبَ فِيهِ**) : أي لاشك فيه مطلقا ، نفي مطلق لوجود أي ريب

الآية (٢٣) : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ ﴾

وفي سورة يونس (الآية ٣٨) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ من غير "من" التي تسبق (مِثْلِهِ) _ وأيضا في سورة هود (من الآية١٣) : ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ ﴾

-لأن (من) - للتبعيض ، ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة ، حَسُن دخول : "من" فيها ،ليُعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره بخلاف غيرها من السور- فإنه لودخلها "من" لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ، و لم يكن ذلك بالسهل

الآية (٤٦) : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾-والآية (٢٣٠) - ﴿ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

-الظـــن في الآيـــة الأولى يختـــلف في معنـــاه عـــن معـــنى الظـــن في الآيـــة الثانية والفرق بينهما في القـــرآن له ضـــابطان :

أحدهمـــا :أنـــه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه، فهو اليقين ، وحيث وجد مذموما متوعدا بالعقاب عليه ، فهو الشك

الثاني : أن كل ظن يأتي بعده " أَنْ " الخفيفة فهو شك كقوله تعالى :﴿ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه ﴾ – فالظن هنا بمعنى الشك كذا في قوله تعالى :

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٓ أَهْلِيهِمْ أَبَداً ﴾ (الفتح من الآية١٢)

– وكل ظن يأتي بعده "أنَّ" المشددة فالمراد به اليقين ،كقوله تعالى :(إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ) (الحاقـــة:٢٠) – وقولـــه سبحانه وتعالى : ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة:٢٨)

والمعـــنى فـــيه (أ نَّ) : المشددة للتأكيد ، فدخلت على اليقين ، و(أنْ) الخفيفة بخلافها فدخلت في الشك

– فإن قيل : يُرد على هذا الضابط قوله تعالى: في سورة التوبة: (الآية١١٨)

(وَظَـــنُّوٓا أَن لا مَلْجَـــأَ مِنَ اللَّهِ إِلآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) قيل لأنها اتصلت بالفعل – فتمسك بهذا الضابط ،فإنه من أسرار القرآن العظيم

************* *********** ************

– الآية ٦٠: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَـــتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

– وفي ســـورة الأعـــراف (مـــن الآية١٦٠) (وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَىٓ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)

— ما الفرق بين قوله تعالى في الآية الأولى(**فَانفَجَرَتْ**) — **وفي آية الأعراف (فَانبَجَسَتْ)؟**

للإجابةنقول والله أعلى وأعلم في **الآية الأولى** :(**فَانفَجَرَتْ**) تدل على أن انصباب الماء ، وتدفقه بكثرة وبسرعة **لأن موسى عليه السلام هو الذي طلب السُقْيا من ربه لقومِه**،فانفجر الماء بكثرة

— **وفي الآيـــة الثانية: القوم هم الذين طلبوا السُقيا من موسى عليه السلام** فكان ظهور الماء وجريانه، دون تدفقه، فالانبجاس أضيق من الانفجار لأنه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا [1]

—ونقـــول والله أعلى وأعلم : أن المرة الأولى كانت في وقت سابق للمرة الثانية — ففي الأولى: ســـأل موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى : السقيا لقومه ولما تدفق الماء من الحجر جاء أمر الله عز وجل لهم : (**وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**)

—**أما في الموقف الثاني**: القوم قد ظلموا أنفسهم لقوله تعالى في ختام الآية الثانية : (**وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)فكان انبجاس الماء دون تدفقه— **فالرزق يقل بالمعصية**- والله أعلى وأعلم

********* ********* *********

الآية (١٢٤) : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَاهِـــمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ (البقرة: من الآية١٢٤)

— نلحظ أن اسم نبي الله إبراهيم عليه السلام ورد في كامل (سورة البقرة) على هذا النحو من الرسم في الكتابة (إبراهـــم) — وورد الاسم في باقي سور القرآن الكريم (إبراهيم) فلم ذلك ، رغم أن في كلا الرسمين للاسم ينطق : إبراهيم ؟

الإجابـــة : سورة البقرة أول سورة (في الترتيب المصحفي) للقرآن الكريم وأول سورة نزلت في المدينة كاملة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليها ــجاء فيها رسم اسم نبي الله إبراهـــيم (علـــيه السلام): (**إبراهـــم**) موافقا لنطق اسمه عند اليهود الذين كانوا يسكنون

(1) تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٥٨

المدينة المنورة(آنذاك) ، ليكون نطق اسم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) موافقا مع ما ينطقون به اسمه عليه السلام ،ترغيبا لهم في الدخول في دين الإسلام وتسهيل البلاغ القرآني لليهود- أما باقي سور القرآن الكريم جاء رسم الاسم : (**إبراهيم**)

- قوله تعالى في الآية (١٢٥) : ﴿ **وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِـۧمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾

نتسائل : لِمَ جَمعَ الطائفين والعاكفين جمع سلامة (مذكر سالم) ، و الركع جمع "تكسير" ؟

الجواب : أن جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل ، فطائفون بمنزلة يطوفون: وهو حدوث الطواف وتجدده ، ففي لفظه اشعار بصلة التطهير ،

وأما الركوع فهو عند البيت،وبعيد عنه ولهذا لم يجمع جمع سلامة ، إذ لايحتاج إلى بيان الفعل الباعث على التطهير كما جاء فيما قبله – وأنَّ ما كان عند البيت الحرام ذكر بجمع المذكر السالم على نحو : (**القائمين ، الطائفين ، العاكفين**)

- وما كان عند البيت ، وبعيدا عنه أيضا ، ففيه الكثرة - فجيء بجمع التكسير على صيغة (**الركع السجود**)

- سؤال آخر : **لِمَ قال الحق سبحانه الركع السجود ولم يعطف بالواو ؟**

الجواب :لأن الركع هم السجود والشيء لايعطف على نفسه – والراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعا

سؤال:قال الله عز وجل في هذه الآية (**الركع السجود**) ، فلِمَ لم يقل : "**الركع السجد** " – كما جاء في الآية (٢٩) من سورة الفتح ؟

﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ...**﴾

- **الإجابـــة** : الفرق بين : (**السجود**) في قوله تعالى : ﴿**وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ - و(**سُجَّداً**) في قوله تعالى : (**رُكَّعاً سُجَّداً**) – أن ذكر السجود لمن هم عند البيت الحرام أو البعيدين عنه في كل زمان ومكـــان فإن اللفظ يتناول العمل الظاهـــر ، وهو السجود لله عز وجل

- أمـــا (**سُـــجَّد**) فجـــاءت في صفة سجود رسولنا صلى الله عليه وسلم ، والذين معه ، فسجودهم سجودا مرئيا في الصلاة ، ومرئيا تأثيره الواضح على تعاملاتهم في حياتهم اليومية بعد أدائهم لصلاتهم - ولذا قال الذكر الحكيم (**تَرَاهُمْ**)

- وهو أيضا سجود خالص لله عز وجل، ليس فيه ما يشوبه ، كما يحدث في سجود الآخرين – لذا قال سبحانه فيهم أنهم : (**سُجَّداً**) – و لم يقل سجود

فانظر إلى بلاغة ودقة القرآن الكريم

********** ********** **********

سورة آل عمران

الآية ٣: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿مِن قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ... ﴾ (٤)

السؤال : ما وجه قوله تعالى ﴿ **وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ** ﴾ بعد قوله تعالى :﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ –والكتاب هو الفرقان ؟

الإجابـــة : إنمـــا كرر ذلك لما اختلفت دلالات الصفات ، وإن كانت لموصوف واحد(**وهو القرآن**) ، لأن كل صفة فيها فائدة غير الفائدة الأخرى ، فقد وصفه بالكتاب لأن من شأنه أن يكتب ليحفظ- ووصفه بالفرقان لما فيه من الآيات المحكمة الفاصلة بين الحق والباطل [1]

---

(1) أضواء على متشابهات القرآن ص ١٢٢

- قوله تعالى في الآية (٤٣): ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

السؤال : لمَ قَدَّم الحق سبحانه وتعالي السجود على الركوع في هذه الآية رغم أن الركوع يسبق السجود - كقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحج:٧٧)

الإجابة على هذا السؤال لها عدة وجوه :

- قيل يحتمل أنه كان في شريعتهم (على زمن مريم عليها السلام) السجود قبل الركوع
- ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية - وقيل المراد ب (أركعي) : اشكري
-وقيل أراد ب (اسْجُدِي) :صلي وحدك - وب (ارْكَعِي) صلي في جماعة ولذا قال مع الراكعين

الآية (٤٠) : جاء فيها على لسان نبي الله زكريا عليه السلام :

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

والآية (٤٧) : جاء فيها على لسان مريم عليها السلام :

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

- السؤال : لِمَ قال الحق سبحانه في الآية (٤٠) ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ - وفي الآية (٤٧) قال عز وجل : ﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾

الإجابة : (يفعل) :من سبب - (ويخلق) : من عَدَم - فنبي الله زكريا له زوجه وأصلحها الله له ؛ فجاء الإنجاب لذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

أما مريم عليها السلام ، خلق الله سبحانه لها الولد بدون زوج ، وأسباب تؤدي لمجيئ الولد لذا قال سبحانه وتعالى : ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾

- الآية : ٤٢ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ ﴾ - قوله سبحانه (اصْطَفَاكِ) الأولى بمعنى اختارك والثانية (وَاصْطَفَاكِ) بمعنى فضلك فالاتفاق في اللفظ دون المعنى (١)

- الآية (٤٦) :قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾- إن سأل سائل : أي معجزة لعيسى عليه السلام في تكليمه الناس كهلا ؟

- الإجابة : كلامه (عليه السلام) في الحالتين بكلام الأنبياء من غير تفاوت بين الطفولة والكهولة

- وقال الزجاج : هذا أُخرِج مخرج البشارة لمريم(عليها السلام) ببقاء عيسى إلى وقت الكهولة

******* ********** ****** ******

سورة النساء

الآية ٥٩ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوآ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِمنكُم﴾

لمَ لَمْ يتكرر الفعل " أطيعوا " مع (أولي الأمر) ؟

الإجابة : لأن المطلوب من أولي الأمر أن يكون عملهم تطبيقا لما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم يفعلوا فلا طاعة لهم ، وإن فعلوا فإن طاعتهم ليست من أجلهم هم ، وإنما لكونهم أحسنوا التطبيق (٢)

---

(١) البيان في روائع القرآن ص ٢٠٧ (٢) المصدر السابق ص ٢١٣

الآيــة ١٦٢ : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَــيْكَ وَمَــآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْــيَوْمِ الْآخِــرِ أُولَــئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ - السؤال : لِمَ قال الذكر الحكيم : (وَالْمُقِيمِينَ) و لم تكن :"والمقيمون" حيث هي معطوفة على ما قبلها وهو مرفوع ، وإلا فعلى أي شيء معطوف قوله تعالى : (الْمُقِيمِينَ) – وهــل هو مجرور أو منصوب ؟

الجواب (**هذا الموضع من كتاب الله عز وجل من معضلات القرآن الكريم في إعرابه**):

وله عدة وجوه كثيرة من الإعراب نذكر منها :

– **الوجه الأول :** هو منصوب على المدح على التقديــر : **وأعني المقيمين الصلاة** [١]، وذلك لبيــان فضل الصلاة وأهميتهــا

–**ووجه ثان** : ويمكن أن يكون معطوفا على قوله تعالى : (**بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ**) – **أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة** وهم الأنبياء وهنا كأنه قال : واذكر المقيمين الصلاة عناية منه بهم

ووجه ثالث : التقدير: يؤمنون بدين المقيمين الصلاة ، فيكون المراد المسلمين[٢]. فتكون مجرورة

– **ووجــه رابع** : أو أن (**الْمُقِيمِينَ**) : معطوف على الكاف في (**إِلَيْكَ**) – في قوله تعالى : (**بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**) – ويكون التقديــر : " إليك وإلى المقيمين " – والحديث الوارد عن هذا الموضع – والمنسوب إلى أم المؤمنين: عائشة رضي الله عنها ، حديث مكذوب وموضوع [٣]

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ص ٢٠٢ (٢) التبيان في إعراب القرآن ص ٢٠٢

(٣) انظر (**مجلة الأحمدية**) الصادرة عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث– مقالة الدكتور/ عبد الله السلمي وعنوانها : موقف النحويين من الآيات المعضلة إعرابا ص ٣٧٢ العدد:١٥

الآيــة (١٦٣) :﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَــى~ إِبْرَاهِــيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾

– هذه الآية ذُكر فيها أكبر عدد من أنبياء الله (عليهم السلام) وجاءت بعدها الآية التالية لها: ﴿وَرُسُــلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ (النساء:١٦٤) – إشارة لتتمة ذكرهم عليهم السلام جميعا

******** ********** **********

سورة المائدة

الآ ية (٣) ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً.. ﴾

نزلــت هذه الآية الكريمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقف على عرفات الله في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة – وليست هي آخر ما نزل من القرآن الكريم –ولكن آخر آيــة نزلت هي : الآية (٢٨١)من سورة البقرة : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

– نتســاءل مــا الفــرق بين : قوله سبحانه تعالى : (أَكْمَلْتُ) وقوله سبحانه (أَتْمَمْتُ) فالعطف يقتضي المغايرة – أي أن الإكمــال ليس هو الإتمــام فما الفرق بينهما ؟

–للإجابة نقول (والله أعلى وأعلم) : **الإكمال** : لازالة نُقصان العوارض بعد تمام الأصل ، فأصل الدين كان تاما قبل نزول الآية ، ولكن كان النقصان في بيان شعائر الحج وقد بينها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم :(**خذوا عني مناسككم**) أما

الإتمـــام : لإزالة نُقصان الأصل ، فَنِعَم الله على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) تمت في هذا اليوم ، ببيان وتوضيح ركن من أركان الإسلام الخمسة في هذا اليوم المشهود ،وبذا تمت النعمة

- **وانظر إلى تنوع ذكر الاختصاص في هذه الآيـــة الكريمة** - حيث قال المولى عز وجل :

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ..**﴾

فعـــند ذِكْـــر الدين قال سبحانه: (**دِينَكُم**) ـــ وعندما ذَكَـــر النعمة قال : (**نِعْمَتِي**)، ففي ذكـــره "ديـــنكم" إشـــعار لنا بمسئوليتنا تجاه ديننا بالقيام عليه،والعمل به وتبليغه للناس فهو ديننا الخالص- أما عند ذكر النعمة أضافها إلى ذاته إشعار بأن ما بكم من نعمة فمن الله وحده - قال تعالى ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** ﴾ (١) وقال تعالى﴿ **وما بِكُم مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ (٢)

الآية (٥٣): قوله تعالى : ﴿..**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ** ﴾

ما الحكمة في قوله تعالى (**فأصبحوا**)؟ ـــ أجاب الرماني عن قوله: (**فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**) بأن العـــادة أن من به عِلَّة تزداد عليه بالليل ، فيرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل (أصبح) لأن الخسران جُعِل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفـــرج -كقوله تعـــالي :

﴿**قَـــدْ سَـــأَلَهَا قَوْمٌ مِن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾ (٣) وقد تأتي لمعنى الدوام واستمرار الصفة كقوله تعالي ﴿**فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (٤)

- لم يذكر الآذان في كتاب الله غير مرة واحدة وهي قوله تعالى في الآية (٥٨)من سورة المائدة :

---

(١) (المائدة: من الآية٧ (٢) (النحل: من الآية٥٣)

(٣) (المائدة:١٠٢) (٤) الاحقاف:من الآية٢٥

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾

الآية (٦٧) قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

قد يقال إن هذه الآية تتعارض مع ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم أحد حيث شُجَّ في هذا اليوم - ولإزالة هذا التعارض نقول : أن هذا كان قبل نزول هذه الآية ، لأن غزوة أحد كانت سنة (ثلاثة من الهجرة) - وسورة المائدة من أواخر مانزل بالمدينة المنورة

الآية : (٦٩) : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَن ءامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

- لِمَ قال الحق سبحانه (**وَالصَّابِئُونَ**) - ولم يقل جل وعلا : (**والصابئين**)ـ حيث يقتضي ذلك عطفها على منصوب ؟ قيل والله أعلى وأعلم :

رُفِعَ الصابئون على إنها مبتدأ ـ والتقدير : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا من آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ والصابئون والنصارى مثل ذلك- ويكون حينئذ مبتدأ محزوف الخبر وقيل أن (**إنَّ**) بمعنى نعم وما بعدها في موضع رفع

ـ**الآية (١٠٥)** :**أولها منسوخ وآخرها ناسخ وقيل لا نظير لها في القرآن** - قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم من ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

الآية (١٠٧): قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى~أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذاً لَمِنَ الظَّـالِمِينَ﴾ قال الزجاج: هذه الآية أصعب ما في القرآن من الإعراب –وقال عمر الفاروق عن آيتي المائدة (١٠٦،١٠٧) : – أعضل ما في القرآن من الأحكام ، ولاشك أن الإعراب تابع للمعنى

********* ********* *********

سورة الأ نعـــا م

يروى عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **(نزلـــت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح – والأرض ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سبحان ربي العظيم) ثلاث مرات**

–وفي الخبر : أنها نزلت جملة واحدة ،وقيل نزل منها آيات بالمدينة المنورة ، واختلفوا في عدد ما نـــزل بالمدينة فقيل ثلاث ، وقيل ست وقيل غير ذلك ، وشيعها سبعون ألف ملك – ومع آية منها نزل إثنا عشر ألف ملك – وهي الآية (٥٩) :

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَآ إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

ذكر توفي الانفس في كتاب الله

ـ جاء في كتاب الله ذِكْر تَوَفِي الأنفس في أكثر من موضع على النحو التالي :

في **سورة الأنعام** : (االآية : ٦١):

﴿ حَتَّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾

- وقوله تعالى في سورة النحل (الآية ٢٨) ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾

- وقال تعالى في سورة السجدة : (١١)

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

- وفي سورة الزمر: (من الآية٤٢) قولـــه تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾

- جمع البغوي بينها :فقال : توفي الملآئكة : بالقبض والنزع – وتوفي ملك الموت : بالدعاء بالأمر يدعو الأرواح فتجيبه ، ثم يأمر أعوانه بقبضها وتوفي الله سبحانه للأنفس :خلقه الموت

- الآية من سورة الأنعام ٧٤

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾

لم يكن أباه إنما هو عمه ، وفي صدر الإسلام كانوا يسمون العم: أبا فنزل الوحي على حسب مـــا هو متعارف بينهم ، فلا يجوز أن يكون في آباء النبي عليه السلام من يعبد غير الله عز وجل ، وهذا مما لاريب فيه

• قوله تعالى في الآية (٧٥) ، والآية (٧٦) :

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءا كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لآ أُحِبُّ الأَفِلِينَ﴾

- قوله تعالى (قَالَ هَذَا رَبِّي) اختلف في معناها على أقوال :

١- قيل أن إبراهيم عليه السلام قال هذا وهو في مهلة النظر، وحال الطفولية ، وقبل قيام الحجة وفي تلك الحال لا يكون كفرا ولا إيمانا

٢- وقـــالوا :وكـــيف يصح أن يتوهم هذا علي من عصمه الله، وآتاه رشده من قبل ، وأراه ملكـــوته ليكون من الموقنين ، ولا يجوز أن يوصف بالخلو عن المعرفة بل عرف ربه أول النظر- وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيـــم عليه السلام أنه قال (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**) [١]

وقـــال سبحانه وتعالى في يقين إبراهيم عليه السلام: (**إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) [٢] أى لم يشـــرك قـــط

٣ـ وقـــيل :هو على معنى الاستفهام والتوبيخ منكرا لعبادتهم الكواكب ـ والمعنى :أهذا ربي ؟ ! أومثل هذا يكون ربا ؟ ! فحذف الهمزة ٤ـ وقيل :المعنى هذا ربي :أي دليل على ربي

٥- وقـــيل أيضا : ما قاله إبراهيم عليه السلام ليس عن طريق الشك ، بل كان عالما موقنا أن ربـــه ســـبحانه لايجوز أن يكون بصفة الكواكب ، وأن ذلك منه على سبيل الإنكار على قومه والتنبيه لهم على أن الإله المعبود لايكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث [٣]

سؤال :كيف تعجب إبراهيم عليه السلام من رؤية الكوكب ، والقمر والشمس- تعجب من لم يكن يراها ، وكيف يجوز أن يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب ؟ !

الإجابة :قيل (والله أعلى وأعلم) :

أنـــه لايمتنع أن يكون عليه الصلاة والسلام ما رأى السماء إلا في ذلك الوقت لأن أمه ولدته في مغارة ، خوفا من أن يقتله النمرود - ومن يكون في مغارة لايرى السماء ، فلما قارب البلوغ ، وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء ، ورأى قومه يسجدون للشمس والقمر [٤]

---

(١) ابراهيم: من الآية٣٥) (٢) (الصافات:٨٤)

(٣) أضواء على متشابهات القرآن ص ٢٢٣ (٤) المصدر السابق ص ٢٢٤

في الآية ١٠٣ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

وفي سورة القيامة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (الآية :٢٢) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٣)

كيف يتم التوفيق بين: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ - وبين قوله تعالى :﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾؟

الإجابة : الآيـة الأولى نفت الإحاطة به - سبحانه و لم تنف النظر إليه سبحانه فلم يقل الحق لاتراه الأبصار بل قال سبحانه : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) - أخرج البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته** " (١)

الفصل والوصل في : (إِنَّ مَا..) و (إنما ..)

- قوله سبحانه و تعالى في الآية (١٣٤) : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

نـلحظ أن الحرفين (إن) ، (ما) جاءا مفصولان في هذه الآية الكريمة _ وأنهما وصلا في باقي آيات كتاب الله الحكيم – فما الحكمة من ذلك ؟

الإجابة : في كتاب البرهان للزركشي(٢) فصل بعنوان " الفصل والوصل " – يتكلم فيه عن وصل الكلمات في الخط ، وعن فصلها ويقول : " اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط ، كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود ، يفصل في الخط كما تفصل كلمة عن كلمة _ فمنه (إنما) بالكسر كله موصول إلا واحدا وهي الواردة في هذه الآية (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ) لأن حرف (ما) هنا وقع على مفصل ، فمنه خير موعود به لأهل

---

(١) صفوة التفاسير ص ٤١٢

(٢) البرهان للزركشي ١/ ٤١٧

الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر- فمعنى (ما) مفصول في الوجود والعلم (١)

********** ********* **********

الآية : (١٥١) : ﴿وَلا تَقْتُلُوآ أَوْلادَكُم مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

وفي سورة الإسراء :(الآية ٣١) : ﴿ وَلا تَقْتُلُوآ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾

السؤال : ما الفرق الذي أوجب أن يقال في الآية الأولى : ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم ﴾ – وفي الآية الثانية : ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ؟

الإجابة :الآية الأولى الإملاق (وهو الفقر) قد وقع ،فلكي يطمئن الآباء على رزقهم قدم ذكر رزق الله لهم أولا على رزق الأبناء فقال سبحانه : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم ﴾.

- أمـــا في آية سورة الإسراء الإملاق (الفقر) لم يحدث ــ فلا تقتلوهم خشية وقوعه- فرزقهم مضمون عند الله سبحانه وتعالى ، ولن يكون سببا في حدوث فقركم ، فقال سبحانه :

﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾

********** ********** **********

سورة الأعراف

الآية (٦) : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

تفيد أن الذين أُرسل إليهم سوف يُسألون ،كذا يُسأل المرسلون ،كقوله سبحانه و تعالى :

﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ ــ ولكن في سورة الرحمن :

---

(١) نطالع المزيد عن باب "الفصل والوصل " في الرسم المصحفي بكتاب الله عز وجل ، وبيان إعجاز رسمه نجده في سورة إبراهيم لاحقا

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَآنٌّ﴾ (٣٩)

- السؤال: كيف يمكن التوفيق بين : أن يُسْألــوا -ولايُسْألــون ؟

الإجابة : حَمَلَه بعض المفسرين على أختلاف الأماكن والمواقف يوم القيامة ، لأن في يوم القيامة مواقــف كــثيرة : فموضع يُسأل ، ويُناقش - وموضع آخر يُعنف ويُوبخ ــ وهم الكفار ــ وموضع آخر لايعنفون ــ وهم المؤمنون

- الآيــة (٣١) ﴿يَــا بَنِي ءادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْــرِفُوآ إِنَّــهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ - جمعــت هذه الآية كل أصول أحكام الشريعة : الأمــر، والنــهي ، والإباحــة ، والتخــيير

- الآيــة ٤٤ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَــلْ وَجَدتُّــم مَــا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ – هذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة ، ودخول أهل النار النار ، وعبربالفعل (نَادَى) بالماضي عن حدث في المستقبل لتحقق وقوعه – كما في قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:١)

- ونتساءل في قوله :﴿ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ – لم جاءت (لَعْنَةُ) بالرفع ؟

الإجابة : (أَن لَعْنَةُ اللَّهِ) : تقرأ بفتح الهمزة ، وتخفيف النون وهي مخففة : أي بأنه لعنة الله ، ويجوز أن تكون بمعنى أي – لأن الآذان قول ، ويقرأ بتشديد وهو ظاهر [١]

-قال سبحانه وتعالى في الآية (٥٩) من سورة الأعراف :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ .. ﴾

[١] التبيان في إعراب القرآن ح١ ص ٢٧٥

ـ وفي سورة هود (٢٥) : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾

- وفي سورة المؤمنون(٢٣) : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾

للسائل أن يسأل عن حذف الواو من (لَقَدْ أَرْسَلْنَا) في سورة الأعراف والإتيان بها في سورتي : هود والمؤمنون ؟

الجواب :إن الآيات التي تقدمت قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ في سورة الأعراف : كانت في وصف ما اختص الله به خلقه والبدائع من فعله ، و لم يكن فيها ذكر بعثة نبي ومخالفة من كان له عدو،فلم يعطف عليه واستؤنف ابتداء كلام ، ليدل على حكم المنقطع من الأول

- أما في سورة **هود** سبق ذِكْر : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ : ذكر احتجاج الكفار على آيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه وألسنتهم - وفي **سورة المؤمنون** كان قبلها ذكر خلق الإنسان وحمله على الفلك ، والفلك هي ما اتخذها نوح عليه السلام للنجاة هو ومن معه- فجاء السياق بالواو العاطفة على ما قبله لمناسبته لهاتين الآيتين الكريمتين في سورتي هود والمؤمنون

- الآية : ٧٨ : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

وفي سورةهود(٦٧) ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾

- مع الرجفة تأتي : (دَارِهِمْ)- ومع الصيحة تأتي : (دِيَارِهِمْ) - فما مناسبة في ذلك ؟

الإجابة: حيث تُذَكَر الرجفة (وهي الزلزلة) توحد الدار فتأتي : (**دَارِهِمْ**) لأنها تختص بجزء من الأرض فيناسبها الإفراد - أما الصيحة فكانت من السماء ، وهي أشد من الرجفة وبلوغها أكثر، فناسبها الجمع فقال سبحانه وتعالى: (**دِيَارِهِمْ**) - فاتصل كل لفظ بما هو لائق به [1]

- قال الله تعالى في الآية (٧٩) في قصة نبي الله صالح عليه السلام :

---

[1] فتح الرحمن ص ١٩٨ - و بصائر ذوي التمييز ص٢١٣(بتصرف)

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ – وفي نفس السورة – وفي قصة نبي الله شعيب عليه السلام جاء على لسانه : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:٦٢)

-فلـــم قال نبي الله صالح عليه السلام : ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي .. ﴾– وقال نبي الله شعيب عليه السلام : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي ﴾ ؟ – وما الفرق بين القولين ؟

الإجابة : (رِسَالَةَ رَبِّي ..) بالإفراد :تناسب قصة نبي الله صالح (عليه السلام) الذي حذَّر قومه من التعرض للناقة بعد أن أمرهم باتقاء الله وطاعته، وكأن أمر الناقة هو رسالته إلى قومه ليعرف مدى تمسكهم بأمر الله ونهيه وفي سياق قصة شعيب نجد أنه (عليه السلام) أمرهم بأوامر ونواهٍ كـــثيرة نذكر منها – قوله تعالى على لسان نبيه شعيب (عليه السلام) : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾

– ﴿وَلا تَبْخَسُـــوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الشعراء ١٨١-١٨٢-١٨٣)

﴿وَاتَّقُـــوا الَّـــذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء:١٨٤) وكأن هذه النواهي والأوامر بمثابة الرسالات فناسب الجمع في قول شعيب عليه السلام : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾

مثلما ناسب الإفراد في قول نبي الله صالح عليه السلام : ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾

********** ********** **********

قاعدة في الفرق بين ﴿أَرْسِلْ ﴾ و ﴿ ابعث ﴾ في كتاب الله

الآية (١١١) من سورة الأعراف – قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿قَـالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ – وفي سورة الشعراء (الآية ٣٦)

تغير فعل الأمر من : (وَأَرْسِلْ) إلى : (وَابْعَثْ)

﴿ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾

– فما الداعي الذي تطلب ذلك وما هي الفروق بينهما ؟

الإجابة : ١– يقول أبو الهلال العسكري في كتابه (الفروق في اللغة) : **أن الإرسال لايكون إلا برسالة أو ما يجري مجراها** كقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء:٥٣) والرسالة كانت : ﴿إِنَّ هَؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (الشعراء:٥٤)

وليس في (بَعَثَ) هذه الدلالة – فتقول للصبي الذي تبعثه إلى مكتبك في العمل مثلا : (**بعثته**) – ولاتقول (أرسلته) – كقوله سبحانه وتعالى على لسان أصحاب الكهف :

﴿فَابْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَاماً.. ﴾ (الكهف١٩)

٢– يقول الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) : **في البعث : ملمح واضح للسرعة ،** وفي الإرسال: **الرفق والتؤدة** :

– **ففي البعث** ، وما فيه من الدلالة على سرعته – يقول العزيز الحكيم (سبحانه وتعالى) :

﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. ﴾ (البقرة: ٢٤٦)

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً... ﴾ (البقرة:٢٤٧)

﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَامَن بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس:٥٢)

– **وفي الإرسال** : وما فيه من الدلالة على **الرفق والتؤدة** كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٥١)

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴾ (النساء: من الآية٦٤)

٣- للخطيب الإسكافي ملحظ دقيق في الفرق بين (أرسل) في آية الأعراف (الآية ١١١)
﴿قَالُوآ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴾ والفعل (**ابعث**) في الشعراء (٣٦)
﴿قَالُوآأَرْجِــهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴾ -فيقول اللفظتان نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى ،وقد جاء بعث الرسول وإرساله معا

- إلا أن (**أرســل**) يختص بما لايختص به (**ابعث**) لأن البعث **لايتضمن ترتيبا** - **والإرسال أصله تنفيذ من الأعلى إلى الأدنى**

(**وَأَرْسِلْ**): في سورة الأعراف، حكاية قول العامة للملأ:(المبلغين كلام فرعون إليهم) - فلقد تَعَــالى فرعون عليهم و لم يخاطبهم بنفسه ، وجعل الملأ وسيطا بينه وبين قومه: فالملأ هم الذين خاطبوا قوم فرعون وأدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه - والدليل على أن ذلك : قوله هــو ، وأنهم فيه مؤدوا رسالة عنه- قول العامة في (جوابهم): ﴿**أَرْجِهْ وَأَخَاهُ** ﴾ فكان هذا خطابا لفرعون من قومه ، و لم يكن للملأ- وإلا لقالوا للملأ : أرجوه وأخاه

﴿ **قَــالَ الْمَلَــأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ (الأعراف:١٠٩) (**يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾ (الأعراف:١١٠) - ورد قوم فرعون عليهم :
﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ ،فكــان جوابهم باللفظ (**وَأَرْسِلْ**) فــلما تَعَــالى عليهم و لم يخاطبهم بنفسه ، تعالوا عليه وردوا عليه بالفعل (**وَأَرْسِلْ**) - أما في سورة الشعراء فلقد تولى فرعون بنفسه مخاطبة القوم بإسقاط الحجاب بينهم وبينه وتسوية قدرهم بقدره لقوله

﴿ **قَــالَ لِلْمَــلأ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ ﴿**يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾ ﴿**قَالُوآ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ** ﴾

(الشعراء : ٣٤-٣٥ - ٣٦)

– فخـــص هذا الموضع بالفعل (**وَابْعَثْ**) لأنه مخالف للموضع الأول ففي الأول تعظيم وتفخيم ناســـبه(وأرســـل)–وفي الثاني ترخيص في العلاقة وسقوط الحجاب فكان (وابعث) مناسبا لمقتضى الحال (درة التنزيل ص١٢٩)

********** ********** **********

الآيـــة (١٤٣) : ﴿**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾

في هذه الآية الكريمة تساؤلات كثيرة نذكر منها : [1]

سؤال : الرؤية عين النظر ، فكيف قال موسى عليه السلام ﴿**أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ ؟

الجـــواب : معـــنى ﴿**أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ :اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي ، فأنظر إليك وأراك

ســـؤال ثـــان : لـــم قال الحق سبحانه : " **لَن تَرَانِي** "- ولم يقل :"**لن تنظر إلي** " : لقول موسى عليه السلام : (**أَرِنِي أَنظُرْ إليك**) - لأن المطلوب كان النظر ؟

للإجابة نقول : لما قال موسى عليه السلام : (**أَرِنِي**) وهي بمعنى : أجعلني متمكنا من الرؤية ، التي هي الادراك ، عُلِمَ أن المطلوب هو الرؤية ، لا النظر الذي لا إدراك معه – لذا قال الحق : (**لَن تَرَانِي**) –ولم يقل لن تنظر إلي- وكذلك حتى لايكون ذلك حرمانا لموسى عليه السلام من النظر للمولى عز وجل يوم القيامة لقوله تعالى :

﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** ﴾ (القيامة:٢٢) ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ (القيامة:٢٣)

سؤال ثالث كيف جاز لموسى عليه السلام و هو نبي وأعرف الناس بربه أن يسأل ربه ذلك ؟

[1] أضواء على متشابهات القرآن : الشيخ خليل ياسين ج١ ص ٢٤٢

الإجابة : إن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه ، وإنما سألهـا لقومه حين قالوا لـه :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة:٥٥)

- ولـذا قال موسى عليه السلام عندما أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم من قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا من تَشَآءُ ﴾[1]

- وقـد سأل موسى عليه السلام ربه ذلك ، ليظهر لهم سفاهتهم وأنه سبحانه وتعالى لاتدركه الأبصار ولايدرك بالحواس

- **القـرآن الكـريم لا تنقضي عجائبه ، فلقد جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه ،** وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أوتيت جوامع الكلم** " -(أخرجه مسلم)

وإن شئت أن تعرف فتدبر قوله سبحانه في الآية١٩٩ :

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

كـيف جُمع بهذا الكلام كل خلق عظيم ، لأن في " **أخذ العفو** " :صلة القاطعين والصفح عن الظـالمين وإعطاء المانعين ـ **وفي : الأمر بالمعروف**: تقوى الله ، وصلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن المحرمات ، وفي: " **الاعراض عن الجاهلين** ":الصبروالحلم وتتريه النفس عن مجادلة السفيه ومنازعة اللجوج وهو الذي يلزم أمرا ويأبى أن ينصرف عنه [2]

********** ********** **********

---

[1] (الأعراف: من الآية١٥٥)

(٢) تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبه ص ٤٨

سورة الأنفال

قال عز من قائل في الآية (٩) من هذه السورة

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

- وفي سورة آل عمران الآية ١٢٤:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ

أَلن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

وأيضا في سورة آل عمران: (الآية ١٢٥)

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

فماوجه هذا الاختلاف في ذكر عدد الملائكة، والحدث كان واحدا وهو في معركة بدر الكبرى؟

الإجابة : أول دفعة كانت الملائكة ألف ملك ، ثم عزَّزها بألفين فصاروا ثلاثة آلاف ، ثم بالصبر والتقوى يمددهم ربهم بخمسة آلاف من الملائكة زيادة على ما ذُكِر

قال عز وجل :

﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران : ١٢٥)

********** ****** **********

سورة التوبة

لهذه السورة الكريمة أكثر من اسم فهي تسمى :سورة التوبة ،وسورة براءة ،والفاضحة والحافرة - لأنهـــا حفرت عن قلوب المنافقين – قال ابن عباس :مازال يترل (..**ومنهم**..) حتى ظننا أنه لايبقى أحد إلا ذُكِر فيها- كقوله تعالى :

(وَمِـــنْهُم مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا..) (التوبة: من الآية٤٩) –

أما الخبر : فهو يحتمل الصدق أو الكذب - قال تعالى : ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (١)- وقوله تعالى : (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ (٢)

الآيـــة (٩٥) : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾-فعل الإعراض الوارد في هذه الآية بمعنيين : فالإعراض المقصود في الفعل المضارع (لِتُعْرِضُوا) بمعنى المسامحة والغفران — ولكـــن الإعراض الذي قُصِدَ في فعل الأمر: (فَأَعْرِضُوا) هو المغاضبة والترك والإهمال- أي أن هـــؤلاء سيحلفون طلبا للغفران ،ولكن الله يأمر المسلمين بمغاضبتهم) (٣) وهذا من باب الاتفاق في اللفظ واختلاف المعنى ، وهو في مواضع شريفة ، وكثيرة في كتاب الله عز وجل

********** ********** **********

سورة يونس

قال الحق سبحانه في الآية (٢٢) : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى~إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِـــن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوآ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

نتساءل ما الفرق بين استخدام القرآن الكريم لكلمتي : (الريح) و(الرياح) ؟

الإجابة : كثيرا ما يأتي ذكر الريح عندما يراد منه العذاب كقوله تعالى :

---

(١) (محمد: من الآية٣١)

(٢) (التوبة: من الآيـــة٩٤)

(٣) البيان في روائع القرآن ص ٢٠٧

﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

– وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (٢) – وقال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٣)

– أما عندما يأتي ذكر الرياح فإنه يراد بها الخير، كقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٤) – وقال عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٥) – وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦)

أما في آية سورة يونس (الآية ٢٢) فعندما ذُكرَ الفلك والتي يلزمها ريح واحدة من اتجاه واحد لتسييرها في البحر، (وليست رياح من عدة اتجاهات)، أعقب ذكر هذه الريح بأنها: طيبة

﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ فانظر إلى بلاغة القرآن ودقة ألفاظه

********** ********** **********

الفرق في الخطاب بالفعل والخطاب بالاسم: في كتاب الله عز وجل

الآية (٣١) من سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

---

(١) الأحقاف: (٢٤)
(٢) سورة إبرهيم (١٨)
(٣) الذاريات: (٤١)
(٤) الأعراف الآية (٥٧)
(٥) الحجر الآية (٢٢)
(٦) النمل الآية (٦٣)

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾

(يَـــرْزُقُكُمْ)..(يَمْلِكُ) ... (يُخْرِج) .. (يُدَبِّرُ) : هـــناك فرق بين الخطاب بالفعل ، والخطاب بالاسم – فعندما يراد صفة التجدد يستخدم الفعل المضارع

–أما عندما يراد صفة الدوام فيستخدم الاسم – أو بمعنى آخر عندما يراد تجدد الحقائق أو آثارها جيء بالفعل المضارع –وحيث يراد الاتصاف بها تأتي الأسماء انظر إلى قوله تعالى :

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُو فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (١) لو قيل رازقكم لفات ما أفاد الفعل من تجدد الرزق شيئا بعد شيء (٢)

********* ********* *********

الفرق بين ذكر (جآء) ، و (أتى) في القرآن الكريم

" جاء " و "أتى " يستويان في الماضي ، وفي المضارع "يأتي " أخف من " يجيء " – وكذا في الأمر ففي القول " جيئوا بمثله " أثقل من : (فأتوا بمثله)

أما في الماضي ففيه لطيفة : وهي أن جاء يأتي في الجواهر والأعيان (أي الأشياء الملموسة) – و" أتى " في المعاني والأزمان وفي مقابلها : ذهب ، ومضى فيقال : ذهب في الأعيان ، ومضى في الأزمان – ومن أمثلة جاء : قوله تعالى : في سورة النساء (٤٣)

---

(١) فاطر: من الآية٣) (٢) (البرهان ج٤ ص ٦٦ ، ٦٧)

﴿ أَوْ جَـآءَ أَحَدٌ منكُم منَ الْغَآئط ﴾ – وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ به مُوسَى نُوراً وَهُدىً للنَّاس ﴾ (١) – وقال عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لميقَاتنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ (٢) – وفي سورة يوسف :

﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٣)

أما أتى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّه فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:١)

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ منَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ (الإنسان:١)

﴿أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس٢٤)

الآيـــة (٣٥) ﴿قُـــلْ هَلْ من شُرَكَآئكُم مَن يَهْدِي~إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَـــقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي~إِلآ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

– لنتأمل الفعل المنفي: (لايَهِدِّي) – أصله لايهتدي فدغمت التاء في الدال التي بعدها فحدث التشديد للكسر في حرف الدال فأصبحت (لايَهِدِّي) (باستعمال الفعل على هذه الصورة) تُبلِغ لنا رسالة خاصة : أن هذا الشخص المقصود والذي (لايَهِدِّي) لايهتدي بنفســـه ، وأنه إذا جاء مَنْ يدُله على الطريق السوي لاينقاد بسهولة ، وكأن الذي ندب نفسه لهدايته، يأخذه بيده جذبا إلى الغاية المرجوة ، لكنه يحاول الإفلات منه ــ فلا يصل إلى الغاية المنشودة إلا بمشقة .

********** ********** **********

---

(١) (الأنعام: من الآية٩١) (٢) (الأعراف: من الآية١٤٣)

(٣) (يوسف:٧٢)

سورة هـــــود

الآيـــة (٤٤) : ﴿وَقِـــيلَ يَآ أَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَا سَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

-ذكر السيوطي أن في هذه الآية الكريمة عشرين ضربا من البديع ،وهي سبع عشرة لفظة نذكر مـــنها : المناســـبة الـــتامة في " ابْلَعِي "،" أَقْلِعِي " - والاستعارة فيهما - والطباق بين : الأرض والسماء والمجاز: في قوله تعالى : " وَيَا سَمَآءُ " والحقيقة يامطر السماء _ والإشارة في : " وَغِيضَ الْمَاءُ " فإنه عبر به عن معان كثيرة

الآية (٥٨) : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَـــا نَجَّيْنَـــا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّـــا ﴾

وفي الآية ٦٦) ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَـــا نَجَّيْنَا صَالِحـــاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾

وفي الآيـــة ٨٢ : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴾

- وفي الآية ٩٤﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَـــا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾

السؤال : لمَ قيل في مواضع ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ وفي مواضع ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ ؟

الإجابة : عندما كان الإنذار باقتراب العذاب: جاء القول الكريم مقترنا بالفاء التي تفيد التعقيب

-وجاء هذا في عذاب قوم صالح عندما قال لهم: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (١)

وعندما كان موعد قوم لوط الصبح :﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٢)

---

(١) هود : (٦٤) (٢) (هود من الآية٨١)

فقال الحق ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً من سِجِّيلٍ ﴾

- أما إذا كان العذاب مرتقبا وليس بعاجل جاء الذكر الحكيم بالقول :﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾

فلقد قال شعيب لقومه :

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ (١)

فانظر إلى بلاغة القرآن العظيم ، قال الحق سبحانه وتعالى

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٢)

في الآية (٦٧) : وفي قصة صالح (عليه السلام) : قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

وفي قصة شعيب عليه السلام وفي الآية (٩٤) :

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

- والسؤال : لمَ جاء الفعل : (أَخَذَ) في قصة صالح عليه السلام ... وجاء بصيغة مؤنثة : (أَخَذَت) في قصة شعيب عليه السلام ؟

الإجابة : لقد أخبر الحق سبحانه وتعالى عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة أنواع من العذاب جاءت بألفاظ مؤنثة وهي: .

---

(١) (هود:٩٣) (٢) (هود:الآية ١)

(الرجفة) في سورة الأعراف (الآية ٧٨) في قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ – وعن عذابهم في (سورة هود) جاء ذكر: (الصيحة) في قوله تعالى:

﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

وفي سورة الشعراء ذكر (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال سبحانه وتعالى (في الآية ١٨٩)

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

فلما اجتمع عليهم العذاب بثلاثة أشياء مؤنثة وهي : الرجفة ، والصيحة ، والظلة – غَلَب التأنيث في هذا الموضع فقيل : (وَأَخَذَت) ، – على الموضع الذي لم تتوال فيه المؤنثات [١] فقيل فيه (أَخَذَ)

الآية (٧١) :قال عز وجل :

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾

قال جمهور المفسرين : الضحك هنا هو الضحك المعروف ، غير أن مجاهد وعكرمة قالا : ضحكت بمعنى : حاضت – ونحن مع الرأي الثاني لسببين والله اعلى وأعلم :

١- لم يأت الذكر الحكيم قبل هذه الآية بذكر لحدث يتسبب في ضحكها ، ولكن ماجاء قبلها مجيء الرسل ، ومجيء إبراهيم عليه السلام بعجل حنيذ لهم – قال تعالى مخبرا عن الموقف :

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود:٧٠، ٧١)

---

(١) درة التنزيل ص ١٦٤

فـــلم يَـــرِد ما يستدعي الضحك منها – بل إن الموقف موقف نكران من زوجها لهؤلاء الذين جـــاءوا إليهم ، و لم تمتد أيديهم إلى ما قُدِمَ لهم من طعام ، فتخوف منهم زوجها إبراهيم (عليه السلام) ولابد أن هذا الخوف امتد إليها فكان له التأثير البالغ عليها – فحاضت المرأة – فساق الرسل البشرى إليها : بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ

٢– **ثم إن الذكر الحكيم لايورد ضحكا لامرأة** ، و لم يرد ذكر (الضحك) المعروف في كتاب الله إلا في موضعين:

الأول قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة:٨٢)

والـــثاني : تبسم سليمان ضاحكا للنملة (في سورة النمل) لِيُعْلِمْها أن قولها للنمل قد عَلِمه ، وفَقِه منطقها لهم ، **فتبسم تبسم الفَرِح ، ولم يتبسم تبسم الغضبان احتراسا**– قال تعالى :

﴿فَتَبَسَّـــمَ ضَـــاحِكاً مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحـــاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١)

********** ********** **********

– الآيـــة (٨٤)من السورة الكريمة قال عز وجل : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾

قيل إن مدين هم أصحـــاب الأيكة إلا أنه سبحانـــه حيث أخبر عن مدين قال (**أخاهم شعيبا**) – وحيث أخبر عن الأيكة – لم يقل "أخـــاهم "– كما في قوله تعـــالى في سورة الشعراء :

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

والحكمة في ذلك : أنـــه لما عرفهم بنسبهم إليه وهو أخوهم ، ذكر أُخُوَّته لهم، فقال (**أَخَاهُمْ شُـــعَيْباً**)، ولما عَرَّفهـــم بالأيكـــة التي أصابهم فيها العذاب ، لم يقل (**أخـــاهم**)، وأخرجه عنهم – وقال : ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ**﴾ (الشعراء : ١٧٧)

---

(١) (النمل:١٩)

– ونضـــيف والله أعـــلى وأعلم : في **سورة الأعراف** قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام **﴿وَإِن كَـــانَ طَآئِفَةٌ مِنكُمْ ءامَنُوا بِالَّذِي~أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾** (١)

– **فالطائفـــة الـــتي لم تؤمن من (مدين): هم أصحاب الأيكة** ، فعند ذكرهم ، لايذكر أُخُوة شعيب(عليه السلام) لهم – فلا يكون أخا لطائفة لم يكن فيها مؤمن قط

ـــ وفي نفس هذه المسألة قيل أيضا : إن شعيبا(عليه السلام) أُرْسِلَ إلى طائفتين أحداهما مدين وهم عشيرته ، والأخرى أصحاب الأيكة ،وهو عليه السلام لم يكن منهم

ـــ و قيل أن أصحاب الأيكة هم قوم مدين ، والأيكة شجرة كانوا يعبدونها من دون الله ، فلما نسبهم إلى الشجرة نَّزه شعيبا عن أخوته لهم فلم يذكر أنه أخوهم لشركهم والله أعلى وأعلم (٢)

********** ********* **********

سورة يوسف

الآية (٢٠) : **﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾**

و لم يقل: (**وباعوه نثمن بخس**) لأن في مجيء الفعل (باعـــوه) يدل على الاستغناء عن الشيء المـــباع والاســـتفادة مـــن ثمـــنه ،كـــذا فإن لفظ البيع في البشر لايكون إلا للعبيد(٣) – فقال الحق:(**وَشَرَوْهُ**): تكريما ليوسف (عليه السلام)

كذلـــك جاء فعل الشراء أيضا في قوله تعالى : **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى~أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾** (٤)

---

(١) الأعراف (٨٧) (٢) (قواعد وفوائد ص ٨٥)

(٣) البيان في روائع القرآن ص ٢١٤ (٤) (يوسف: من الآية٢١)

لكي يدل الفعل (اشْتَرَاهُ) على الرغبة في ضمه للحاجة إليه- تكريما ليوسف عليه السلام ، ولكي يكون التعبير به تخفيفا لوقع العبارة في النفس – **كذا التعبير عن الشئ بشرائه يدل على الحرص على الحصول عليه ، واقتنائه**

- قال تعالى في الآية (٢٥) : ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ فجعل العزيز سيدها ، و لم يجعله سيده ، تكريما ليوسف عليه السلام ، وإعلاء لمقام النبوة

الآية (٣٦) : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ _ قال بعض أهل العلم :تبينوا إحسانه من خدمته أهل السجن ، وهذا شأن الأنبياء فهم أهل تواضع ولين جانب

الآية(٤٧) : ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾ – وقال تعالى في الآية (٤٩) على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾

- فماالفرق بين العام والسنة ؟ – للإجابة نقول :

إذا كانت أيام السنة فيها سعادة ورخاء –قيل عنها إنها: (**عام**)كقوله تعالى:﴿ **أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (التوبة:١٢٦)

وإن كانت أيامها فيها شدة ، وكد ،وتعب يقال عنها (**سنة**)كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (المائدة:من الآية٢٦) -وفي سورة العنكبوت ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ (العنكبوت:١٤) تسعمائة وخمسون سنة لبثها (عليه السلام) مع قومه يدعوهم إلى الإيمان: ليلا ونهارا ، فلم يؤمن معه إلا قليل- فكانت سنين جهاد وكد معهم- وبعد الطوفان واستواء السفينة على جبل الجودي ربما مكث مع من آمن خمسين عاما وقيل إنه عاش أكثرمن ألف سنة (والله أعلى وأعلم)

الآية (١٠٠): قول الحق على لسان يوسف عليه السلام ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ - كان هذا القول من يوسف عليه السلام عندما التقي وأبيه وإخوته- في نهاية

ذكر قصته في كتاب الله عز وجل - فلم يذكر نعمة الله عليه في إخراجه من الجب ، لئلا يكون في ذلك توبيخا لإخوته فذكر نعمة إخراجه من السجن ، وربما لكون مصيبة السجن أعظم عنده

********** ********** **********

سورة الرعد

قاعدة في : ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ ، ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾

- قال سبحانه وتعالى في الآية (٢) من هذه السورة : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾

- أما في سورة لقمان في (الآية٢٩) ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مُسَمّىً وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

- فما الفرق بين قوله تعالى ﴿..كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ - وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىَ أَجَلٍ مُسَمّىً ..﴾ ؟

الإجابة : أولا إن معنى قوله تعالى ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ :أي يجري لبلوغ أجل مسمى- وقوله تعالى : ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىَ أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ معناه: لايزال جاريا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له ، المحدد لنهاية جريه

ثانيا : عندما يكون السياق القرآني الجليل فيه آيات منبهة على النهاية ، والحشر، والإعادة تأتي : ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ - ففي سورة لقمان قبلها الآية ٢٨ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - وبعدها الآية ٣٣ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾

– وسائر الآيات التي ذُكرَ فيها (لأَجَلٍ مُسَمّىً) إنما هي في الأخبار عن ابتداء خلق السماوات والأرض ، وابتداء جري الكواكب والنجوم لبلوغ الغاية – كذا خلق الإنسان

– ففي سورة الرعد: (من الآية٢) ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً ﴾

– وفي سورة الزمر الآية (٥):﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ – قبل القول الكريم :(لِأَجَلٍ مُسَمّىً) وبعدها، جاء ذكر للخلق (١)

– **تَعَجُبْ الله عز وجل** : جـــاء في الآية الكريمة (٥) من هذه السورة في قوله تعالى :

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

الفرق بين ذكْر الخوف.. والخشية.. في كتاب الله عز وجل

قـــال الله تعالى في الآية (٢١) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾

– **فما الفرق بين : (يَخْشَوْنَ).. (وَيَخَافُونَ) ؟**

الفرق بين الخشية والخوف : الخشية تكون من عظمة المخشي منه ، حتى وإن كان الخاشي قويـــا – والخشـــية تكـــون لله عز وجل من المخلوق ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾(٢) – وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾(٣)

---

(١) (انظر درة التنزيل ص ٢٦٩ ، ٢٧٠)

(٢) (الأنبياء: ٤٩

(٣) (الأحزاب :(٣٩)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١)

فالخشية من الله عز وجل لعظمته ، يخشاه كل مخلوق ، مهما كان ، لذا قال الله عز وجل : ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾- ويدل على ذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة ، فقيل للرجل الكبير : الشيخ

- والخوف يكون من ضعف الخائف - وإن كان المُخَوَّف به أمرا يسيرا ، فالخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف- فسوء الحساب ربما لا يخافه من كان به عالما ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب - قال سبحانه و تعالى ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴾ (المائدة الآية : ٥٤)

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (الذريات:٣٧)

- كذا من أمثلة ذكر الخوف ﴿قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود : ٧٠)

وقوله تعالى لموسى عليه السلام﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾(طه:٢١)

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴾ (طـه:٦٨)

******** ******* *******

الآية (٢٧) : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مِن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾

والآية الكريمة : (٣٣) : ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

قد يسأل سائل كيف يضل الله سبحانه عبده ثم يعاقبه على ضلاله ؟

الإجابة : معنى ذلك أن الله سبحانه يمنعه هدايته - وذلك إذا أتت على الإنسان الأدلة كثيرة ومتواترة ، ووضحت له الحجج ، فأعرض الإنسان عنها ، و لم يمعن النظر فيها - عندئذ يمنع الله

(١) الملك:١٢

هدايته له - وليس المراد من الضلال أنه يوقعه فيه — كما لو أخذ الله من عبده نعمة الصحة فإنه يقع في المرض قهرا ، ولا نقول أن الله أمرضه

حذف الجواب لمعرفة المخاطب به

الآيـــة ٣١ : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءاناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ ءامَنُوآ أَن لَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً .. ﴾ — قد يأتي السياق القرآني مبينا على أن له جوابا ، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به ، كقوله سبحانه في هذه الآية ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءاناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ ـ أراد : لكان هذا القرآن ، فحذف

كذلك قوله تعالى :﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ـ أراد لعذبكم ، فحذف (٢)

وفي هذه الآية الكريمة جاء الفعل : (**يَيْأَس**) بمعنى (**علم**) — لأن في علمك الشيء وتيقنك له يأسك من غيره فيكون معنى الآية أ فلم يعلم الذين آمنوا أن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ؟

(الآية ٣٨) : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

هذه الآية الكريمة تشير إلى أن جميع الرسل تزوجوا وكانت لهم ذرية - وعيسى عليه السلام في الآيـــة: إشارة على أنه عند نزوله آخر الزمان سيتزوج وتكون له ذرية — رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عن عيسى عليه السلام " **فيمكث في الأرض أربعين سنة ..** "(٣)

---

(١) (النور: ٢٠) (٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٤٥ (٣) أخرجه أبو داو ود

- ويتزوج في الأرض (١)... ويولد له (٢)

********* ********* *********

سورة إبراهيم

في سورة البقرة : (الآية ٤٩) ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِنْ ءالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

و في سورة إبراهيم (الآية ٦) : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِنْ ءالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلآءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

- سؤال : ما الفروق بين الآيتين ؟ ولمَ جاء في سورة البقرة (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بدون واو - وجاءت في سورة إبراهيم بالواو : (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) ؟

- نقول والله أعلى وأعلم :١- آية سورة البقرة من كلام المولى عز وجل ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ - أما في سورة إبراهيم فمن كلام موسى عليه السلام :(إِذْ أَنجَاكُم) ، فأراد موسى عليه السلام أن يعدد عليهم المحن فجاء في كلامه عليه السلام (الواو)في قوله ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ٢- ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بدون الواو :جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له - وحيث أثبت الواو جعل التذبيح غير العذاب ، لأن العطف يقتضي المغايرة : (أي ما قبله خلاف ما بعده)

---

(١)نعيم بن حماد (فتح الباري)٦ ٣٥٧١ (التواتر ٢٤٥) (٢)كتاب الوفا لابن الجوزي (التواتر ٢٤٠

- قال عز وجل في الآية(٣٤) ﴿وَءاتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَآ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ – وقوله تعالى في سورة النحل : الآية (١٨) :

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَآ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

-قال القاضي ناصر الدين بن المنير في تفسيره الكبير : كأنه (عز وجل) يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة ، فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل عند أخذها وصفان كونك ظلوما ،وكونك كفارا - ولي عند إعطائها وصفان :وهما إني غفور رحيم – أقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي – فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولاأجازي جفاءك إلابالوفاء

الفرق في الرسم المصحفي في كتابة :(كُلِّ مَا) : مفصولة و (كلما) : متصلة

في الآية السابقة : ﴿وَءاتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ..﴾ جاءت (كل) و (ما) مفصولة غير متصلة - حيث الدعاء لايكون متصلا – ولأن عطاء الله عز وجل متنوع وليس من جنس واحد:مثل عطاء المال وعطاء الصحة ، وعطاء الولد ..وغيره كثير ؛ فلذلك فصلت (ما) عن (كل)- كما في قوله تعالى :﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ (١) - فالفتنة تأتي متقطعة وليست على صفة الاستمرارية - وقال تعالى : ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاًوَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)

ففصلت (كل) عن (ما) – لأن الحديث جرى على أمم مختلفة ورسل متعددين

ولما كان الحديث عن أمة واحدة في آية المائدة (٧٠) :

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي~إِسْرَآئِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى~أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾

---

(١) (النساء: من الآية٩١)

(٢) (المؤمنون: من الآية٤٤)

- وصلت (ما)ب (كل)[1] - لأن الحدث كان متصلا ، فجاءت كلما متصلة

كقول الحق سبحانه : في سورة البقرة (من الآية٢٠) : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾

– وقولـــه عز وجل : ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (البقرة: من الآية٢٥)

وصلت (ما) ب (كل) لأن الآية تتحدث عن أهل الجنة ، ورزقهم متواصل غير مقطوع لا في الزمان ولا المكان – كما قال الله تعالى (في سورة الرعد: من الآية٣٥) : ﴿أُكُلُهَـــا دَائِمٌ ﴾

سورة الحجر

دراسة في قصة نبي الله لوط عليه السلام

- ذُكرت قصة نبي الله لوط عليه السلام مع قومه ، ومع رسل ربه إليه ، في أكثر من موضع في كـــتاب الله ، وقد يبدو للقارئ في كتاب الله تكرار للآيات التي تذكر القصة في سور (هود ، الحجـــر، الأنبياء، الذاريات) وهي من السور التي ساقت أحداث قصة نبي الله لوط مع قومه بشئ من التفصيل ولكن بالتدقيق في الآيات القرآنية في هذه السور نجد أنه لا تكرار لها ؛ ولكن هي الدقة البالغة في عرض الأحداث – وبداية نقرأ تلك الآيات بهذه السور بشيء من التدبر :

في سورة هود:﴿ وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾[2]

وفي سورة الحجر : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[3] وفي سورة الأنبياء (الآية ٧٤)

---

(١) الدكتور / عبد العظيم المطعني – مقالة : خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف مجلة منبر الاسلام العدد ٩ السنة ٦١

(٢) سورة هود من الآية٧٨) (٣) سورة الحجر الآية (٦٧)

﴿ وَلُوطـــاً ءاتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَآئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾

ذُكِـــر (قومه) في آية سورة هود- وذُكِر(أهل المدينة) :في سورة الحجر_و(القرية): في آية سورة الأنبياء - نبي الله لوط عليه السلام كان يقيم مع قومه في (القرية) وعندما جاءه المرسلون جاءه قومه يُهرعون إليه أي يسارعون، ويتدافعون على داره ، طلبا لعمل السيئات مع من تخيلوهم ضيوفا عليه ثم ذاع الخبر وانتشر في البقاع المجاورة؛ وعلى إثر ذلك جاء أهل المدينة المجاورة للقرية ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فذُكِرت القرية:وهي (قرية قوم لوط) وذُكِرت المدينة المتاخمة لها ليتبين لنا جانب من جوانب الأحداث هناك ، وما كان عليه القوم من فساد وضلال

********* ********* *********

عَرْض نبي الله لوط عليه السلام بناته على القوم

في سورة هود (من الآية ٧٨) : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾

في سورة الحجر (الآية ٧١) : ﴿ قَالَ هَؤُلآءِ بَنَاتِيۤ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

- الآية الأولى: جاءت في معرض حديث نبي الله لوط لقومه في قريته وفيها قال لهم: (يَا قَوْمِ) أما الآية الثانية فحديثه إلى أهل المدينة الذين جاءوا إليه يستبشرون لذا خلت من قوله (يَا قَوْمِ) وعن تفسير الآيتين ، قال أغلب المفسرين :كأن نبي الله لوط قال :" هؤلاء نساء البلدة أُزَوِجكم بهن ، فذلك أطهر لكم - وإنما قال بناتي لأن كل نبي أب لأمته(١)

- وقال أستاذنا الشيخ /محمد متولي الشعراوي رحمه الله :"وقد قال ذلك لأن المرأة مخلوقة لذلك، ومن الممكن أن يتزوجوا من بناته ، فهل كان المقصود بناته من صلبه أم بنات أمته ؟ وقد قيل :

(١) صفوة التفاسير ج ٢ ص ٢٧

إنه لم يؤمن بالله إلا لوط وابتاه ، فكيف يكون الزواج لابنتين ، من كل هذا العدد من الرجال المتدافعين ؟ !(١)

ولكننا مع الرأي القائل أنهن بناته من صلبه فالقرآن الكريم لايُكَني بالبنات عن النساء لقوله تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾(٢) – ويفرق بين الأبناء والنساء قال تعالى : ﴿ فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)

- فلقد كن بناته ، وكن متزوجات من رجال في القرية لقولهم لنبي الله لوط عليه السلام عندما ذكرهن لهم ، فردوا عليه بقولهم :

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود:٧٩) –وربما يكون قد حدث انفصال بين بنات لوط وأزواجهن سببه تردي الرجال في الخبائث– وأقامت بنات لوط مع أبيهن في بيته رافضات فعل الأزواج ، لذا كُتبت لهن النجاة مع أبيهن عليه السلام

ـ وقال عليه السلام لقومه : ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ـ جاء بصيغة أفعل التفضيل : (أَطْهَر)أي أطهر من نساء القرية ، ويبدو أن الحديث كان لأزواج بناته والذين أنابوا عن أهل القرية ، وكانوا أول من تدافع وتحدث مع لوط عليه السلام

-والرأي بأن المعنيات في الآية نساء القوم – بعيد عن الحقيقة – لأن نبي الله لوط عليه السلام لم يصف نساء القوم بالأطهار ، لأنهن لم تُقَومن سلوك رجالهن ، وارتضين منهم بالخبائث – و لم يذكر القرآن الكريم في القرية إلا(بيتا واحدا)كان من المسلمين لقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذريات:٣٦)

---

(١) تفسير الشعراوي ص ٦٥٧٧

(٢) البقرة: من الآية٢٢٣)

واستحقت نساء القوم الهلاك معهم – إذن كيف يُوصَّفن على لسان لوط عليه السلام بالطهر !! ولكن كان وصفه لبناته الطاهرات واللاتي أبين الرذيلة ؛ فآوين إلى بيت أبيهن لوط عليه السلام

– ونلحظ أن نبي الله لوط لم يأت بأفعل التفضيل:(**أطهر**) مع أهل المدينة حتى لايثير حفيظتهم ويقارن بناته بزوجاتهم ، فقال عليه السلام : ﴿ **قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِيۤ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ – قالها لأهل المدينة أيضا ، لعلهم يخجلون منه ، ويكفون عن خزايته في ضيفه

- كذا لم يقل لهم (**يَا قَوْمِ**) لأنهم ليسوا من أهله – ولكنهم من مدينة مجاورة

– ولاحرج على نبي الله لوط (عليه السلام) أن يعرض ما فيه زواج شرعي ، درءا للمفاسد – وطلبا للنصرة – ولقد قال الشيخ الكبير لنبي الله موسى عليه السلام :

﴿ **قَـــالَ إِنِّيۤ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىۤ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ** ﴾ (القصص: من الآية٢٧)

أوامر الرسل لنبي الله لوط عليه السلام

– جـــاء في سورة هود (٨١) : ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾

– وجاء في سورة الحجر (الآية : ٦٥)

﴿ **فَأَسْـــرِ بِـــأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ** ﴾

– ما الفرق بين الأوامر الواردة في الآيتين ؟

– نقـــول والله أعلى وأعلم : في الآية الأولى ما يشير إلى خروج امرأة نبي الله لوط معهم – فإن التفتت ورجعت فلا تنهاها عن ذلك ، فالأمر لايشملها في عدم الالتفات كي يصيبها ما أصاب القـــوم في القرية – وعند رجوعها ، فاتبع أدبار باقي أهلك كي لاتتأثر بها بنت من بناتها– لذا زاد الذكر الحكيم ﴿ **وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ** ﴾ في سياق الآية (سورة الحجر) التي لم تُذكرفيها امرأة

نـــبي الله لوط عليه السلام – عند ئذ سيصدر الأمر لكم بالمضي إلى الجهة التي تؤمرون بالتوجه إليها– لذا قال الحق سبحانه على لسان رسله للوط(عليه السلام)﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾

– أرأينا اختلافا أو تكرارا ؟ ! لا والله !!– بل إنه تصوير كامل ودقيق ، لما كان هناك دون نقص أ و تكرار – فتبارك الذي أنزله كتابا أُحْكِمت آياته، ثم فصلت – قال سبحانه وتعالى :

﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:١)

نزول العذاب على قوم لوط

كـــان أول العـــذاب الصيحة حين أشرقت الشمس :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (الحجـــر:٧٣) ثم : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنضُودٍ) (مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٢ – ٨٣)

********** ********* ********

سورة النحل

(قاعدة : في ذكر: "خَلَقَ" و " جَعَل " في القرآن الكريم)

ما الفرق بين خَلَق ، وجَعَل .. ؟

الخَلْق : فيه معنى التقدير ويكون من عدم حيث لا تتقدم مادة ولا سبب محسوس كقوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ من نُطْفَـــةٍ فَإِذَا هـــوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (النحل:٤)

(١) النحل: الآية ٣)

أما الجَعْل : ففيه معنى التصيير ، كإنشاء شئ من شئ ، أو تصيير شئ ليكون شيئا آخر ، أو نقله من مكان إلى مكان آخر(١) وهكذا - والفرق بين خلق وجعل يتبين لنا من هدي ما ذُكِر من فرق بينهما في الآيات التالية :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام: الآية ١)

- فخلق السماوات والأرض كان من عدم ، وخَلَقَ الله الشمسَ والقمرَ، ثم جُعلت الظلمات والنور من هذا الخلق

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْأيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

فالشمس لم تُجعل ضياء إلا بعد أن خلقها الله من عدم - كذا القمر صار نورا بعد أن خلقه الله سبحانه- وقال العزيز الحكيم في محكم التنزيل :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾(٣) – فَمِمَّ خلق الله سبحانه وتعالى أولا ، جُعِلَ منه ظلال، وخلق الله الجبال ثم جَعَل منها أكنانا أي مواضع تسكنون فيها كالكهوف والحصون

******* ******** ******

- الآيــة ٨٤) ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ – و(الآية ٨٩) من نفس السورة :

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلآءِ ﴾

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٢٨

(٢) يونس الآية :٥)

(٣) (النحل: من الآية٨١)

ما الفرق الذي استوجب أن يقال في الآية الأولى: ﴿ نَبْعَثُ من كُلِّ أُمَّة شَهيداً ﴾- وفي الآية الثانية : ﴿ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّة شَهيداً ﴾ ؟

- الإجابة : **الآية الأولى** : تصور موقفا من المواقف العظيمة يوم القيامة، وفيه يبعث شهيدا من كل أمة ــ ولا يُسْألُ فيه الكافرون ،ولا يتحدثون ،ولقد ذكرنا من قبل أن هناك مواقف يُسألون ومواقف لا يُسألون فيه،كما قال الحق سبحانه :﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَآنٌّ** ﴾ (١) --حيث **قُضِي الأمر** ، لذا قال الحق بعد الآية (٨٤) من سورة النحل

﴿ **وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾ (النحل:٨٥)

- أما الآية : ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِن أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلآءِ** ﴾ - فهو موقف آخر فيه (**يُسْألون**)، وتقام الشهادة على الأمم بشهيد من أنفسهم ، ويكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) شهيدا عليهم جميعا

قاعدة في : الفرق بين " فعل " و " عمل " في كتاب الله عز وجل

الفعل : (**فعل**) : كثيرا ما يجيء كناية عن أفعال متعددة ، وفائدته الاختصار كقوله تعالى :﴿ **أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾(٢)

وقال الحق سبحانه و تعالى ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَحْنُ وَلآءَابَآؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ (٣)

---

(١) (الرحمن:٣٩)

(٢) (الأعراف: من الآية١٧٣) (٣) (النحل:٣٥)

وحيث جاء الفعل : (**فعل**) في كلام الله فهو محمول على الوعيد الشديد كقوله سبحانه وتعالى﴿**أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾– وقوله تعالى

﴿ ... **كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾

– كذا في قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ** ﴾ (سورة الفجر ٦)

وقوله سبحانه و تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ (سورة الفيل: ١)

وفعل الله عز وجل لا يحتاج إلى وقت ولكنه يتسم بالسرعة– قال سبحانه وتعالى :

﴿**وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ** ﴾(١)– وقال تعالى في حق المؤمنين :﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** ﴾(٢)– أي يأتون بها على سرعة من غير توان لدفع حاجة الفقير

– أما العمل فأداؤه يكون بزمان – كقوله تعالى : ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ**﴾ (سبأ الآية١٣)

وقوله تعالى: ﴿**لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾ (يس:٣٥)

وقول الحق سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في كتابه:(**الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**..)– قال تعالى :﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ (البقرة: من الآية٢٥) وغيرها من الآيات

********** ********** **********

سورة الإسراء

من الآية (٥٥) : ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً** ﴾

– لِمَ خُصَّ نبي الله داود بالذكر في هذه الآية ؟

لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء وهو: الرسالة – والكتابة _ والخطابة – والخلافة والملك والقضاء (في زمن واحد) كذا تسخير الجبال للتسبيح معه قال العزيز الحكيم في كتابه

---

(١) (ابراهيم: من الآية٤٥)

(٢)(المؤمنون: ٤)

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (صّ: من الآية١٧) ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (سورة صّ الآيات١٨، ١٩ ،٢٠)

الآيــة ٥٩ : ﴿وَمَــا مَنَعَنَآ أَنْ نُرْسِلَ بِالْأيات إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْأيات إِلَّا تَخْوِيفاً﴾

الســؤال الأول :لمَ قال الحق سبحانه (وَمَا مَنَعَنَا) –مع أنه تعالى لايمنعه عن إرادته مانع ؟

– الإجابة :المنع هنا مجاز عن (الترك) كأنه قال : " وما كان سبب ترك الإرسال بالآيات إلا : تكذيب الأولين

– الســؤال الثاني : ولمَ ذَكَرَ السياق القرآني : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ – فخصها دون غيرها من الآيات ؟

– الإجابة :لما أخبر الحق سبحانه بأن الأولين كذبوا بالآيات ، عين منها ناقة صالح عليه السلام لأن ديارهم الهالكة باقية في بلاد العرب ، قريبــة من حدودهم يُبْصِرهــا صادرهم ، وواردهم

سورة الكهف

– قــال ســبحانه وتعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْــبُهُمْ رَجْمــاً بِالْغَيْــبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الكهف: من الآية٢٢)

– سؤال : ما هي تلك الواو الداخلة على (ثَامِنُهُمْ) – في قوله تعالى : (وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)
– ولمَ دخلت عليها دون لفظ المعــدودَيْن : (رَابِعُهُمْ) ... (سَادِسُهُمْ) ؟ !

أجاب الزمخشري عن هذا السؤال بقوله :

-" قلـــت هي (الواو) التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة ، في نحو قولك : جاءني رجل ومعه آخر ، ومررت بزيد وفي يده سيف

وفائدتهـــا تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، **والدلالة على اتصافه بها أمر ثابت مستقر** ، وهذه (الـــواو) هي التي أذنت بأن الذين قالوا : ﴿**سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ قالوا عن ثبات وعلم ، وطمأنيـــنة نفس و لم يرجموا بالظن كما قال غيرهم: ﴿**ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ**﴾ ..﴿ **خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ**﴾ والدلـــيل عليه، أن الله عز وجل أتبع القولين الأولين قوله : (**رَجْماً بِالْغَيْبِ**) ، وأتبع القول الثالث :﴿ **وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ بقوله سبحانه وتعالى : ﴿**مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾

وقال ابن عباس : " حين وقعت الواو انقطعت العدَّة أي لم يبق بعدها عِدَّة عاد يلتفت إليه [1]

نسبية الزمن

قال عز وجل ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾ (٢٥)

﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (من الآية٢٦)

يقـــول الدكـــتور / منصور حسب النبي [2]: كل متحرك في الكون يحمل زمنه معه ، والزمن الذي نقيسه ونحن على الأرض يختلف عن الزمن المقيس على الكواكب الأخرى ،لأن مدة العام الواحـــد هومقياس لزمن دورة الكوكب حول الشمس، فالسنة على كوكب عطارد تعادل ٨٨ يومامن أياماوالسنة على كوكب المشترى تعادل حوالي ١٢ سنة من حساب الزمن على الأرض

لـــذا كنـــت أتساءل لمَ قال الحق سبحانه في الآية (٢٦) من سورة الكهف (في سياق ذكر المدة التي قضاها أصحاب الكهف في كهفهم) **بقوله تعالى :**

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٧٨ ، و الفصل والوصل في القرآن ص ١٢٩)

(٢) في كتابه الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والسرعة النسبية ص٨١ وما بعدها

﴿قُــلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الكهف: من الآية٢٦) – فلقد حدد الحق سبحانه وتعالى المدة بقوله تعالى:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ (الكهف:٢٥) – فالآية الكريمة تحــدد المــدة التي لبثوها في كهفهم بالتقويم الشمسي بأنها ٣٠٠ سنة _ بما يعادل ٣٠٩ سنة قمريــة – فَلِمَ أعقب الحق سبحانه ذكر هذه المدة بقوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ؟!

الإجابــة : لأن عــدد السنين المذكور في الآية يختلف تقديره من مكان إلى مكان آخر في هذا الكــون – فالمدة التي لبثوها في الكهف بقياس الزمن على كوكب المشترى مثلا تكون ٢٥ سنة مــن السنين على كوكب المشترى – وهكذا يختلف الزمن في الكون باختلاف حركــة الراصد وحــركة المرصود، ومكانهما بل وسرعتهما – فتبارك الحق سبحانه وتعالى في قدرته على خلق هذا الكون وإبداعه وما أنزل في كتابه من دقة البيان وروعة الألفاظ فقال عز وجل :

(**قُــلِ اللَّــهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**) ليكون منها الإشارة إلى هذه الحقيقة الدامغة في كتابه ، وهو **اخــتلاف الأزمنة في الكون ،وأن الزمن نسبي وليس قيمة مطلقة** – لذا لما قال الحق ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾ وأعقبها سبحانه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ –كُشِفَ لنا عن حقيقة في هذا الكون وهي **أن الزمن نسبي**

سورة مريم

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ .... ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾

– جاء في سورة آل عمران (الآية ٤٧)– على لسان مريم عليها السلام :

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

وجاء في سورة مريم الآية (الآية ٢٠) :

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾

السـؤال : لمَ جاء على لسان مريم (عليها السلام) في سورة (آل عمران) ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ في آية (سورة مريم) : ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ ﴾ ؟

– ولمَ زادت مريم (عليها السلام) في الآية الأولى : ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ ؟

الإجابة : الغلام يطلق على الصبي من حين أن يولد إلى أن يشب ويطلق على الرجل مجازا (١)

والولد : كل من يُولَد – ففي سورة مريم : جاءها المَلَك بعد أن تمثل لها بشرا سويا وبشرها بقوله :﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ﴾ (٢)

وعلى نفس سياق البشرى (بأنه غلام) قالت :﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ ﴾

– وعلى هذا النهج القرآني (في البشرى) قال نبي الله زكريا عليه السلام :

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ (٣) قال :(غلام) لأن الملائكة بشرته ب (يحيى عليه السلام) وأنه سوف يكبر ، حتى يكون سيدا ، وحصورا ، ونبيا من الصالحين– قال سبحانه :

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران:٣٩)

– أما في سورة آل عمران : ولما كانت بشارة الملائكة لمريم عليها السلام بعيسى عليه السلام ، خلت من التصريح من أنه سيكبر حتى **يصير غلاما**– حيث جاءت البشارة بقول الملائكة :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً

---

(١) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٨٤

(٢) سـورة مريم: الآية ١٩

(٣) سورة آل عمران الآية :٤٠

وَمِـــنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١) فهذه الآية ذكرته وهو في (المهد) ، كذا وهو (كهلا) ،ولم تذكر مرحلته (وهو غلام) عندئذ قالت مريم عليها السلام : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾

- وزادت مريم قولها : ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عندما تمثل لها الملك بشرا سويا، واستعاذت بالله منه

- أما في الآية الثانية فهي تناجي الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ فلم تذكر: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ - فالله (سبحانه وتعالى) هو الأعلم بطهرها

- وانظـــر إلى الترتيب المعجز لسور القرآن فيما نحن بصدده ، فلقد جاء ذكر (الولد)- وهو المرحلة الأولى للنشأة - في قولها ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ في سورة(آل عمران) ، والتي تسبق (سورة مريم) في الترتيب المصحفي- والتي جاء فيها المرحلة العمرية التالية وهي "الغلام" في قولها ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ .﴾

********** ******** ********

- الآية (٤٩) : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾

- لِمَ لَمْ يُذْكر نبي الله إسماعيل في سياق هذه الآية فهو ابن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ؟

الإجابة :١- السياق القرآني في هذه الآية في ذكر أنبياء الله لقوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾

- ونبي الله إسماعيل عليه السلام كان رسولا نبيا - قال الحق سبحانه وتعالى عنه بعد هذه الآية ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴾ (الآية ٥٤)

٢- أفـــرد الحق سبحانه ذكْر نبي الله إسماعيل عليه السلام في الآيتين (٥٤) ،(٥٥) و لم يضفه إلى غيره تشريفا له - وإذا ذُكِرَ معهم تقدم ذكره(٢) تشريفا له ولرسولنا صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة آل عمران:الآيتان (٤٥ ، ٤٦)

(٢) كما في (النساء : ١٦٣-إبراهيم :٣٩ - ص :٤٨)

٣- إسحاق ويعقوب عليهما السلام من أنبياء بني إسرائيل وجاء من يعقوب أنبياء لبني إسرائيل – أما نبي الله إسماعيل فلم يكن منه نبي لبني إسرائيل – وجاء منه خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم – لذا لم يعطف نبي الله إسماعيل على إسحق ويعقوب في السياق القرآني في قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾

******** ********* ********

سورة طه

قال الحق سبحانه وتعالى في الآيتين : (١٧) ، (١٨) من هذه السورة الكريمة :

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾

– الذي سُئل عنه موسى عليه السلام هو ما في يمينه ، فَلِمَ أجاب بأشياء لم يُسأل عنها ؟ ! وما هي المآرب الأخرى التي له في عصاه ؟

للإجابة نقول (والله أعلى وأعلم) : إنما ذَكر موسى عليه السلام ذلك و لم يكن مسئولا عنه – وذلك من باب إطالة الحبيب حديثه مع حبيبه (مولاه عز وجل) – أما المآرب التي له فيها : أنه كان يحمل عليها زاده ويركزها في الأرض ، فيخرج الماء ، وكان يدفع بها عن نفسه(١)

دراسة في تحولات

عصا نبي الله موسى عليه السلام

– الآية: (٢٠) من سورة طه جاء فيها : ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾

– وفي سورة الشعراء (الآية ٣٢) : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ١٤

ـ وفي سورة النمل: (الآيـــة ١٠) : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾

ـ وفي ســورة القصص: (الآية ٣١): ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِــلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾

ـ السـؤال : العصا تحولت إلى ثلاثة أشياء في هذه الآيات الكريمة : (حَيَّةٌ تَسْعَى) .. (ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)..(كَأَنَّهَا جَانٌّ) ، فكيف يتم التوفيق بينها ؟

الإجابـة : كان تحول العصا تدريجيـا : فأول تحول لهـا : ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ –كما جاء في (سورة طه)..ثم تضخمت لتصبح : ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ (وكما جاء في سورة الشعراء)..وفي تلك الحالتين لم يُوَلِ نبي الله موسى عليه السلام مدبرا من الخوف .. ثم كثرت حركتها فكانت ﴿كَأَنَّهَا جَآن ﴾(١) ..عند هذه الحالة ولى نبي الله موسى عليه السلام مدبرا و لم يعقبّ (كما ذُكر في سورتي النمل والقصص)- فانظر إلى الترتيب المعجز في ذكر تحولات العصا ، وحسب الترتيب المصحفي للسور الكريمـة ، والتي ذُكِر فيها حالات العصـا وتحولاتهـا تدريجيا

– ثم جـاء نداء الحق سبحانه وتعالى له بعدها ليطمئنه، بحسب كل موقف ، وبما يوافقه؛ فكان على هذا النحو من الترتيب المعجز :

– ففي آية سورة النمل :﴿ ..يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ثم زاده اطمئنانا عندما خَصَّه بأنه من الآمنين – فقال سبحانه في سورة القصص :

﴿..يَا مُوسَى-أَقْبِــلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الأمِنِين ﴾– وزاد الحق فيها (أَقْبِــل) ليبعث لديه مزيدا من الأمن والطمأنينة فتبارك الحق سبحانه وتعالى الذي أحكم كتابه على هذا الترتيب المعجز،ليُرْسم لنا الموقف هناك بدقائقه وبتدرج حسب ترتيب هذه السور الكريمة في كتابه العزيز

---

(١) الجان ضرب من الحيات أ كحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤذي – المعجم الوسيط ج١ص ١٤٦

الآية (٤٤) ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ما معنى الترجي منه سبحانه ؟

الإجابة : ليس الترجي من الله سبحانه ، وإنما هو من موسى وأخيه – ومعنى الآية : ادعواه (أي فرعون) على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه ، لأن ذلك أبلغ لهما في دعوة فرعون إلى الحق – وبعبارة أخرى اذهبا إليه على رجائكما ، لا طمعكما [١]

الآية : (٦٣) : ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾

السؤال لمَ قيل : (هَذَان)– ولم يقل (هذين) لأن (إن) ناصبة لاسمها ؟

الإجابة :ذهب المفسرون وعلماء اللغة فيها إلى عدة أوجه فقالوا تقرأ (إِنْ هَذَانِ) لأوجه منها:

الوجه الأول :أنها بمعنى " نعم هذان ساحران" وما بعدها مبتدأ وخبر وقيل هذا الوجه ضعيف

الوجه الثاني : قال الزجاج : التقدير : لهما ساحران ، فحذف المبتدأ

الوجه الثالث أن الألف هنا علامة التثنية في كل حال ويقرأ إن بالتخفيف فيأتي مابعدها مرفوع

الوجه الرابع : وقيل : (إنْ) بمعنى : (ما) ، واللام في (لَسَاحِرَانِ) بمعنى إلا [٢] فتكون ما هذان إلا ساحران

– وقيل هي بلغة بلحرث بن كعب وهي لغة تجري المثنى بالألف دائما رفعا ونصبا وجرا [٣]

وهذه الآية الكريمة من معضلات القرآن الكريم في الإعراب

– جاء في سورة طه الآية (٧٠) :

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوآ ءامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج ٢ص ١٥) (٢) التبيان في إعراب القرآن ص ١٢٢

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة ص ٧٨ ، ومجلة الأحمدية العدد الخامس عشر / اكتوبر ٢٠٠٣م

وجاء في سورة الأعراف ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١)﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢٢

وجاء في سورة الشعراء ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤٧)﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾(٤٨

- **السؤال الأول** : لم اُختُصت (سورة طه) بقول السحرة :﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ حيث قدموا ذكر نبي الله هارون على ذكر أخيه نبي الله موسى - مع أنهم في **سورتي الأعراف والشعراء** قالوا : ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ؟

- **السؤال الثاني** جاء في سورتي الأعراف (١٢٠): قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾وأيضا في سورة الشعراء ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾(٤٦)

فأخبر الحق عنهم بأنهم (**سَاجدينَ**)- في هاتين الآيتين

- وأما في سورة طه :﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠)

فأخبر عنهم بأنهم : (**سُجَّداً**) - **فما الفرق بين الحالتين ؟**

- **الإجابة** : إن كتاب الله عظيم ، وألفاظه تبلغ مبلغا من الدقة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى - فهو كلامه ، ويلزمنا الكثير من إمعان الفكر لنصل إلى بعض من مقاصده ، تلك التي ننشدها وللإجابة عن السؤالين علينا أن نتدبر الآيات ، لترتسم لنا أحداث ما كان عليه حال السحرة في هذا الموقف

فلنتدبر ما جاء في سورة **الأعراف** والذي تماثل إلى حد ما مع ما جاء في سورة **الشعراء** فنجد

١- ما جاء في سورة الأعراف :-

مجيء السحرة وطلبهم من فرعون أجرا إن كانوا هم الغالبون وقولهم لموسى عليه السلام ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (من الآية١١٥) فقال لهم موسى (عليه السلام) ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس ، واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحى الله عز وجل إلى

موسى أن يلقي عصاه،فإذا هي تلقف ما يأفكون فغلبواوعندئـــذ ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿ قَالُوآ ءامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الآيات:١٢٠ ،١٢١ ، ١٢٢)

٢- في سـورة الشعراء : تُذْكر نفس الأحداث لكن بمزيد من الإضافة التي تتمثل في توضيح ما ألقـوه ، وقولهم بعزة فرعون : ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ الشعراء الآية (٤٤)

٣- أما في سورة طه فتفردت بزيادة عما ورد في سوريتي الأعراف ، والشعراء بما يلي:

أ) مـا توجـس في نفس موسى عليه السلام من خوف لتوهمه أن حبالهم وعصيهم تسعى- فيأتيه الوحي بقول الله عز وجل : ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ (٦٨) ﴿وَأَلْـقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوآ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩) ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوآ ءامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠)

ب) ثم استفاض السحرة في القول بإيمانهم : ﴿قَالُوا لَن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ﴾ (٧٢) ﴿ إِنَّآ ءامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣)

من الآيات الكريمة (السابقة) ، يتضح لنا ما يلي :

- الموقف في عرضه بسورة (طه) يتبين لنا صعوبته على نبي الله موسى عليه السلام ، و لابد أن علاماته ظهرت على وجه نبي الله موسى عليه السلام ، وكأن السحرة تذكروا ، وتساءلوا من يخرج موسى مما هو فيه ، أين هارون سنده ؟ !

ونحن نعلم أن موسى عليه السلام قال في حق أخيه هارون : ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (طـه :٣١، ٣٢) وقال الحق سبحانه على لسان موسى في سورة القصص :(٣٤)

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾

فعندما ألقى موسى (عليه السلام) عصاه ولقفت ما صنعوا - لم يقل الحق عن هذه المرحلة العصيبة تلقف ما يأفكون ـــ بل ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ (طه: من الآية٦٩)- ما صنعوا .. أي كل ما أثروا به على الحضور ، وعند هذه الدرجة من اليقين :

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ - والسُجَّد أبلغ في سجودهم وفي يقينهم من الساجدين - ألا نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام :

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً..﴾ (١)

وعندئذ ﴿قَالُوآ ءامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٢) - آمنا برب من نطلبه نصيرا لأخيه : وهو هارون، وآمنا برب موسى- فالموقف موقف طلب النصرة فقدموا ذكر النصير وهو: هارون - أيضا لقد تحدثوا في هذا الموقف بفصاحة ، إلى فرعون- والفصاحة سمة من سمات هارون ، والذي قال فيه أخوه موسى(عليه السلام) : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً..﴾ لذا قدموا في هذا الموقف من هو أفصح وهو هارون فقالوا:﴿ءامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

- ومن السياق القرآني يعن لنا : أنه كانت هناك مرحلتان :

- المرحلة الأولى : عندما تبين لهم صدق موسى عليه السلام : ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوآ ءامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأعراف :١٢٠ -١٢١-١٢٢

- والمرحلة الثانية : عندما تيقنوا ، وزاد يقينهم : ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ خروا سجدا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه :٧٠) عندئذ توعدهم فرعون بقوله :

---

(١) الفتح: من الآية٢٩) (٢) طه (الآية ٧٠)

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ (الآية ٧١) - فردوا عليه بيقين:

﴿ قَالُوا لَن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَاتَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ ﴾ ﴿إِنَّآ ءامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه (٧٢)- ٧٣)

الآيــة :(٨٤) قــال تعــالى على لسان نبيه موسى عليه السلام مخاطبا ربه﴿قَالَ هُمْ أُولآءِ عَلَى~أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾- السؤال :لِمَ لم يقل هم هؤلاء على أثري ؟

الإجابة : لم يقل هؤلاء لأن الهاء في هؤلاء للتنبيه- والمخاطب هنا هو الحق سبحانه وتعالى الذي لا يحتاج إلى تنبيه

********* ******** *********

سورة الأنبياء

من الآية (٣٠) : قوله تعالى﴿ .. وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾

فقد قيل إن حياة كل شيء إنما هو بالماء ،قال ابن درستويه : وهذا غير جائز في العربيــة ، لأنه لو كان المعنى كذلك لم يكن " **حَيٍّ** "مجرورا ، ولكان منصوبا (كلَّ شيء حيا) ، **وإنما " حَيٍّ " صــفة لشــيء** - ومعنى الآيــة : **خَلَقَ الخَلْق من الماء** ، (**أي كل مافيه روح فقط** : (**أي المخلوقات الحية) خُلِقَت من الماء -وليس كل شيء**) ويدل عليه قوله في موضع آخر :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِن مَآءٍ ﴾ (١)

الآية (٦٣) : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾

السؤال :كبيرهم لم يفعل ، فكيف صح من إبراهيم عليه السلام أن يقول بل فعله كبيرهم هذا ؟

الإجابة : كلام نبي الله إبراهيم عليه السلام مقيد ومرتبط بقوله : ﴿**إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ والتقدير :بل فعله كبيرهم فإن نطقوا فأسألوهم – **فقد علق الكلام وربطه بشرط لايوجد**– فليس هذا كذبا ويكون ذلك من قبيل قولنا : فلان صادق فيما يقول إن لم تكن فوقنا سماء

الآية (٨٧)﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ** ﴾

– وقال سبحانه (في سورة القلم الآية ٤٨) :

﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾

ما الداعي لذكر لقب نبي الله يونس (عليه السلام) في سورة الأنبياء ب : (**ذَا النُّونِ**)

وذكره في آية سورة القلم ب : (**صَاحِبِ الْحُوتِ**) ؟

للإجابة نقول (والله أعلى وأعلم) ذكر نبي الله يونس عليه السلام في (**سورة الأنبياء**) جاء في سياق ذكْر ما امتن الله به على رسله عليهم السلام المذكورين في هذه السورةالكريمة – فَذُكِر لقب يونس عليه السلام بما يناسب مقامات العطاء للأنبياء ب: (**ذَا النُّونِ**) **ولفظ النون أشرف من الحوت – في هذا المقام** _ وجاء ذكْر : (**النون**) في أول (سورة القلم)

﴿ **ن~ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ (القلم:١)

– **أما في سورة القلم** : فالسياق القرآني يتحدث عن الأمر بالصبر – فليس فيه من التشريف كالذي ورد في سياق آيات (سورة الأنبياء) – فَلَقَّبه الذكر الحكيم :بصاحب الحوت تذكيرا بحادثة التقام الحوت لنبي الله يونس عليه السلام – هذا والله أعلم

---

(١) (النور: من الآية٤٥)

وفي هذه الآية الكريمة ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (الأنبياء: من الآيـــة٨٧): من فَسَّر القول الكريم من الله ﴿فَظَنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بأنه القُدرة على يونس عليه السلام، فإنه قد زل وأخطأ ، وأساء الظن به عليه السلام ،فيونس عليه السلام لم يَشُك في قدرة الله عز وجل لأن ذلك كفر ولكن المقصود من نقدر عليه أي نضيق عليه فالقدرمن التضييق قال تعالى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقدرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[1] :أي ضيق رزقه

قوله تعالى في الآية : ٩١) : ﴿وَالَّتِيَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ ءايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ – وقوله سبحانه تعالى في سورة التحريم (الآية ١٢) :

﴿وَمَـــرْيَمَ ابْنَـــتَ عِمْـــرَانَ الَّتِي~أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾

– **أخطأ من توهم هنا أن الفرج هو الفرج الحقيقي** ، وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ، **وهي كناية عن فرج القميص** ، أي لم يعلق ثوبها ريبة ، فهي طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان ، والأعلى والأسفل وليس المراد غير هذا

فـــإن القـــرآن الكريم أنزه معنى ، وألطف إشارة ، وألمح عبارة ، ولاسيما والنفخ من الروح القدس بأمر القدوس سبحانه ، ونزهت القانتة المطهرة عن الظن الكاذب [2]

وذكر الصابوني في تفسيره لقوله تعالى (**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُوحِنَا**) : أي أمرنا جبريل فنفخ في فتحة درعها أي قميصها فدخلت النفخة إلى جوفها فحملت بعيسى عليه السلام [3]

سؤال لِمَ قال الحق في آية الأنبياء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ وقال في آية التحريم: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ ؟

الجـــواب : لما كان القصد في سورة الأنبياء الإخبار عن حال مريم وابنها وأنهما جعلا آية للناس وكـــان الـــنفخ فيها مما جعلها حامل-أوالحامل صفة الجملة فكأنه قال : والتي أحصنت فرجها

---

[1] (سورة الفجر:١٦)

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠٦ – وذكره السهيلي في التعريف بالأعلام ص ٨٤

(٣) صفوة التفاسير ج ٢ ص٢٧٤

فصيرها النفخ حاملا حتى ولدت فلما كان القصد التعجب من حالتها وأنها بالنفخ صارت حاملا ، رد الضمير إلى جملتها دون بعضها فقال :(**فيها**) – أما في سورة التحريم: لم يكن القصد فيها التعجب فجاء اللفظ على أصله ، والمعنى فنفخنا في درعها ، و لم يسق الكلام إلى ما سيق إليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ فاختلفا لذلك (درة التنزيل ص ٢١٩)

********** ********** **********

سورة الحج

الآيـــة١٢٥مـــن سورة البقرة:﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِـــيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَى~إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾

– وجاء في الآية (٢٦) من سورة الحج :﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ .

السؤال : لِمَ جاء السياق القرآني الجليل في سورة البقرة بذكر (**الْعَاكِفِينَ**) – فقال سبحانه: ﴿**أَن طَهِّـــرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ – وجاء بذكر (**الْقَائِمِينَ**) في آية سورة الحج فقال عز وجل : ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ ؟

الإجابة أولا : في آية سورة البقرة ذُكر في السياق أن البيت جُعِلَ مثابة للناس وأمنا أي مرجعا يترددون عليه المرة تلو الأخرىومن هذه المثابةكان الاعتكاف عند البيت،فجاء ذكر(**الْعَاكِفِينَ**) – **أما في آية سورة الحج** : قال عز وجل: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ**﴾ – بوأنا أي دلناه على مكانه– وكان رَفْع إبراهيم (عليه السلام) القواعد من البيت – وبدّء التواجد عنده للطائفين حوله والقائمين للصلاة عنده والركع السجود فكان المناسب هنا مجيء لفظ(**الْقَآئِمِينَ**)

ثانيا : آية سورة البقرة جاء فيها ذِكْر نبي الله إسماعيل ، أما **آية سورة الحج** فخلت من ذكره عليه السلام -وفي هذا إشارة إلى أن الاعتكاف عند البيت سيكون سُنَّة من سنن ذرية إسماعيل عليه السلام – ومنهم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وكان الاعتكاف من سُننه

ثالثا : الاعتكاف لايكون إلا في مسجد ، وفي ذِكْر:(**العاكفين**) **في آية سورة البقرة** مع ذِكر (**نبي الله إسماعيل عليه السلام**) إشارة إلى أن ما حول البيت سيصير مسجدا ؛ وفيه يعتكف إسماعيل عليه السلام وذريته ؛ فخصت آية سورة البقرة بذكر: (**الْعَاكِفِينَ**)

أما في آية سورة الحج فقد خلى السياق من هذه البشارة - وفي الآيتين ذكر ما تكاملت به هيئات من العبادة عند البيت الحرام من الطواف والقيام والركوع والسجودوالاعتكاف والله أعلم

(الآية:٥٢) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلآ إِذَا تَمَنَّى ... ﴾

- ما الفرق بين الرسول ، والنبي ؟

- الرسول : إنسان أوحي إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه ، **والنبي** : إنسان أُوحِي إليه بشرع ، وإن لم يُؤمر بتبليغه – فالنبي أعم من الرسول – فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسول

********** ********** ********

سورة المؤمنون

- الآية (٢٠) ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلأَكِلِينَ ﴾

المراد بها شجرة الزيتون - فإن قلت لِمَ خصها بطور سيناء مع أنها تخرج من غيره أيضا – قلت : أصلها منه ثم نقلت إلى غيره (فتح الرحمن ص٣٨٩)

- الآية ٥٠ : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءايَةً وَءاوَيْنَاهُمَآ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

السؤال : لِمَ لَمْ يقل الذكر الحكيم (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ء ايتين) ، وجعلهما (**ءايَةً**) ؟

الإجابة : أجرى الله عز وجل: الاثنين مجرى الشيء الواحد في البيان والحكمة ،لأن شأنهما واحد لأنها عليها السلام جاءت به بدون زوج، فلم تكن الآية لها إلا به (عليه السلام) ، ولا له إلا بها

سورة النور

- من الآية (٤٥) ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ ..**﴾

- السؤال : ما الحكمة من مجيء الترتيب على النحو الوارد في هذه الآية الكريمة فجاء ذكر : (**مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِه**) أولا ثم من (**يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ**) وأخيرا :(**مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**) ؟

الإجابة : جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب لتقدم ما هو أعرق في القدرة على المشي وهو الماشي **بغير أرجل** ، ثم الماشي على **الرجلين** ، ثم الماشي **على أربع** – فنجد الإنسان الذي يفقد رجلا من رجليه ، تحدث له إعاقة في المشي ، كذا لو فقد حيوان أو غيره رجل من أربع يصعب عليه المشي - لذا تقدم (**مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِه**) لقدرته على المشي دون اعتماده على أرجل - فناسب تقديمه على غيره ممن يمشي على أرجل [١]

********** ********** **********

سورة الفرقان

قاعدة : نداء " يارب " : في كتابه العزيز:

في كتاب الله جاء دعاء الأنبياء لربنا سبحانه وتعالى **بدون ذكر**(**يـاء النداء**)على النحو التالي:

نبي الله نوح عليه السلام ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾[٢]

---

[١] (الكشاف للزمخشري ٣/٧١- بتصرف) [٢] (نوح:٢٦)

نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً ءامناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأخِرِ﴾ (البقرة: من الآية١٢٦)

- ونبي الله زكريا عليه السلام ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾ (١)

- نبي الله موسى عليه السلام دعا ربه قائلا :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٢)

الله سبحانه وتعالى قريب منا قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٣) فلا يكون الدعاء والتضرع إليه باستخدام أداة النداء (يا) والتي تستخدم للنداء على البعيد- قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (٦) - وصار الدعاء على هذا النحو : (رب) في كتاب الله العزيز، إلا موضعان:

الموضع الأول : (في سورة الفرقان:الآية ٣٠)

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾

والموضع الثاني : في سورة الزخرف:(الآية ٨٨) : قوله تعالى على لسان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ - فجاء النداء من رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله الكريم (يَا رَبِّ) - فَلِمَ هذا .. ؟

---

(١) (آل عمران:٣٨) (٢) (الأعراف:١٥١) (٣) (البقرة : ١٨٦) (٦) (الحديد : ٤)

رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) معروف بين جميع الرسل بحرصه الشديد على إيمان قومه والله عز وجل عاتبه على هذا الحرص الشديد قال تعالى :

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءاثَارِهِمْ إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ (الكهف:٦)

- حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية قومه جعله كأنه يجأر بالشكوى ويطيل الصوت ، ولا يحذف منه شيئا تنفيسا لما في صدره فكان هذا الداعي إلى ذِكْر أداة النداء (يا) مع (رب) — فقال صلى الله عليه وسلم (**يارب**) - وكأنه هاجس نفسي كان يحس به صاحب الدعوة : نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - بأن هجر قومه للقرآن وإعراضهم عن الإيمان- أكان من قصور منه في مجال الدعوة؟ !
- وكأنه صلى الله عليه وسلم رأى نفسه بعيدا عن ربه ، وليس هذا الشعور ببعيد عن الذين يخشون ربهم ورسولنا صلى الله عليه وسلم إمامهم في مقام الخشية ورهافة الوجدان

فأتى رسولنا صلى الله عليه وسلم بحرف النداء (يا) كأنما يريد أن يرفع صوته بالدعاء ،وزيادة في الضراعة إلى الله عز وجل وابتغاء رضاه

أبعد هذا نهجر القرآن الكريم ؟ وهاتان الآيتان ترسمان لنا شعور رسولنا صلى الله عليه وسلم بالضيق لتركنا كتاب الله عز وجل ؟ ! (١)

********** ********** **********

(في الآية : ٣٧) قوله تعالى : ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾

- كيف قيل إن قوم نوح كذبوا الرسل ورسولهم واحد وهو نوح عليه السلام ؟

---

(١) خصوصيات الرسم العثماني / الدكتور عبد العظيم المطعني : مجلة منبر الإسلام

الإجابة : رسالة الأنبياء واحدة فمن كذب برسالة رسول منهم ، فقد كذَّب برسالة رُسل الله أجمعين ألا ترى قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) وقوله تعالى﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) وقوله عزوجل : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)

********* ********* *********

سورة الشعراء

الإعجاز البياني في الأمر الإلهي لموسى وهارون عليهما السلام بقوله تعالى :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولآ إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ ﴾ (في سورة طه:٤٧)

وأمره تعالى بقوله عز وجل:﴿ فَقُولآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (في سورة الشعراء١٦)

ولِمَ خُصَّت آية سورة طه بتثنية الرسول فقال (رَسُولا) وآية سورة الشعراء ب (رَسُولُ) ؟

الإجابة : نقول (والله أعلى وأعلم) بمراد كلماته : بالتأمل في السياق القرآني الجليل حول هذين الأمرين الجليلين – نجد أن السياق في سورة (طه) يبين أن فرعون قد بلغ مبلغا كبيرا من التكبر والطغيان–ولقد أورد الذكر الحكيم هذا الطغيان بذكره مرتين، في هذه السورة: في الآيـة(٢٤ ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ – وفي (الآية ٤٣) ﴿اذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ – فلقد ثارت ثورة فرعون إلى أقصى مداها– الأمر الذي جعل نبي الله موسى وأخاه هارون عليهما السلام يقولا : ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْأَن يَطْغَى﴾ (طـه:٤٥) – وللمزيد في طمأنتهما في هذا الموقف : رد العزيز الجبار سبحانه وتعالى بالقول الأعظم :

﴿قَـالَ لا تَخَافَـآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.(طـه:٤٦) – فكان مناسبا لهذا الموقف العصيب الذي يواجهه نبي الله موسى وأخوه هارون (عليهما السلام) أن يُثَنَّـا ، ويُعْظم أمرهما

---

(١) (الشعراء:١٠٥) (٢) (الشعراء:١٤١) (٣) (الشعراء:١٦٠)

وتُثبت مترلتهما فجاء الأمرمنه سبحانه إليهما أن يُعَرِفا فرعون بكونهما (**رَسُولا رَبِّكَ**)- أي رسولان ، لارسول واحد

وقولهما له :(**رَسُولارَبِّكَ**)- ليتذكر فرعون ربوبية الله عليه، ورعايته له عَلَّه يتذكر أويخشى

-أمـــا في سورة الشعراء فَتُصور لنا الآيات الكريمة موقفا مغايرا لما كان عليه فرعون – حيث هدأت ثورته ، وبدا عليه ضعفا قد حَلَّ عليه وهو ضعف العُصَّاه - ولننظر إلى قوله لموسى عليه السلام في موقفه هذا : **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾** **﴿وَفَعَلْـــتَ فَعْلَـــتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** (الشعراء١٨، ١٩) – والفعْلة التي يقصدها فرعون هي قتل موسى(عليه السلام) لرجل يقتتل مع آخر من شيعة موسى عليه السلام وهـــي جـــريمة كـــبيرة آنذاك -أصبح موسى عليه السلام بسببها خائفا يترقب **﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّب﴾** (القصص:من الآية١٨) – وهنا نرى فرعون وهو يستُرها ولايصرح بها، وينعتها بقوله لموسى عليه السلام : **﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾**

– ومـــع هـــذا الضعف الظاهر على فرعون كان مناسبا أن يتوحد الرسولان : موسى وهارون عليهما السلام - في منهج الرسول الواحد - حيث موسى (عليه السلام) هو الأصل ،وهارون تبع له – فجاء القول : (**رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) في الأمر الصادر لهما من قبل الحق سبحانه **﴿ فَقُولآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

- وذُكِرَ في هذا الأمر أنه سبحانه **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** للدلالة على كون منهج رسالتهما واحد – وأصله التوراة المترلة على موسى عليه السلام والتي تنادي بعبادة رب العالمين ، كما تنادي بها رسالات الأنبياء جميعا – لذا أُفرِد لفظ : **(الرسول)** في هذا الموضع

فانظر إلى الإعجاز المبهر في السياق القرآني في كل موقف على حدة (والله أعلم)

******** ******** *******

– جاء في الآية (٢٠) :على لسان نبي الله موسى عليه السلام :﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّآلِّينَ ﴾ (الآية ٢٠) – وذلك في معرض رده على فرعون عندما ذكّره بقتله القبطي

السـؤال كيف قال موسى عليه السلام ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وهو نبي ولا يجوز في النبي أن يكون ضالا ؟

الإجابـة : معنى الآية : " فعلت هذه الفعلة وأنا من الجاهلين بأنها تبلغ القتل" – وهذه الفعلة كانت قبل فرار موسى عليه السلام ، وجعله من المرسلين لأنه جاء بعدهـا :

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الآية ٢١)

******* ****** *****

سـؤال : ما الذي أوجب إدخال الضمير العائد على الله عز وجل (هو) في قوله تعالى :في آيات من هذه السورة الكريمة :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (١)

وإخلائه من قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (الشعراء:٨١) ؟

الإجابة : إدخال الضمير العائد على الله عز وجل (هو) يكون على الأفعال التي يدَّعي الخلق فعـلها ، فيقال : فلان هداني – وفلان يطعم فلانا ، والطبيب شفى فلانا – ولكن كل هذه الأفعـال وغيرهـا من الله عز وجل – فما كان فيه إدعاء أن غير الله يفعله : أُدْخل الضمير العائد على الله (هو) على الفعل لرد الفعل إلى الله والتأكيد عليه ،كما جاء في قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٢) – وقوله سبحانه وتعالى :

---

(1) سورة الشعراء الآيات (٧٨ – ٧٩ – ٨٠) (٢) سورة الشعراء الآيات (٧٨ – ٧٩ – ٨٠)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم:٤٣) - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم:٤٨)

أما الأفعال التي لا يذهب الاعتقاد فيها إلى أن غير الله يفعلها لم يلزم إلحاق الضمير (هو) قبل الفعل - كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ - كذا الخلق لا يدعيه أحد ، فلم يدخل الضمير : (**هو**) **على الفعل** (**خلق**) في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: ٤٥)

- قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ (الشعراء:١٠٠) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء:١٠١)

- جمع سبحانه وتعالى (**الشافع**) فقال سبحانه (**شَافِعِينَ**) ، وأفرد (**الصديق**) - وذلك لكثرة الشفعاء عادة ، وقلة الصديق الحميم

-**الآية الكريمة** : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾- نجد هذه الآية تكررت في هذه السورة ست مرات(١) - عقب قصة كل نبي مع قومه - وكيف كان عذاب الله لمن كَذَّب من هذه الأقوام - ومناسبة قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ في هذه الآيات : أنه سبحانه نفي الإيمان عن الأكثرية بقوله تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فدل ذلك على مفهوم إيمان القلة ، فكانت عزته على من لم يؤمن فهو: (**الْعَزِيزُ**) - ورحمته بمن آمن فهو: (**الرَّحِيمُ**)- وهما مرتبتان كترتيب الفريقين(٢) في كثرتهم وقلتهم - فالأكثرية على الكفر، قابلها عزة الحق سبحانه وتعالى - فقدم (**الْعَزِيزُ**) _ و(القلة المؤمنة) قابلها برحمته فقال : (**الرَّحِيمُ**)

********** ***** ******

---

(١) الآيات :١٠٤- ١٢٢ - ١٤٠ -١٥٩ - ١٧٤ - ١٩٠ (٢) البرهان ج ٣ ص ٢٠

- (الآية :١٥٧) : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:١٥٨)

إن قلت كيف أخذهم العذاب بعد ما ندموا على جنايتهم ، وقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **الندم توبة** " ؟

قلت :ندمهم كان عند معاينتهم العذاب — والوقت عندئذ ليس وقت التوبة كما قال سبحانه ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى~إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (النساء:١٨)

وقيل كان ندمهم : ندم خوف من العقاب العاجل ، لا ندم توبة ، فلم تنفعهم

وانظر إلى قوله تعالى:﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ —فاستخدام الفاء تدل على توالي الأحداث ، وهذا يدل أنهم عاينوا العذاب ، فأظهروا ندمهم على عقر الناقة — وكقول فرعون عندما شارف على الغرق ﴿حَتَّى~إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءامَنتُ أَنَّهُ لآإِلَهَ إِلَّا الَّذِي~ءامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: من الآية٩٠)

********** ********** **********

قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:الآيتان١٧٦، ١٧٧) - لم يقل (**أخوهم شعيب**) - مع قوله تعالى في شأن باقي الرسل قبله من السورة نفسها ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ . . . ﴾ على النحو التالي :

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٠٦) - ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٢٤) — ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:١٤٢)- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٦١)

فلمَ لم يذكر (مع أصحاب الأيكة) قوله : (أخوهم مع شعيب) ؟

الإجابة لها أكثر من وجهالوجه الأول :أن شعيبا عليه السلام أُرسِل إلى طائفتين إحداها (مدين) وهم عشيرته والأخرى (أصحاب الأيكة) وليس منهم لذا لم يقل الحق سبحانه وتعالى (أخوهم) الوجه الثاني : أن أصحاب الأيكة هم قوم مدين ، والأيكة شجرة كانوا يعبدونها من دون الله ، فلما نسبهم إليها ، نزه شعيبا عليه السلام عن إخوتهم (١)

ـقال الحق سبحانه وتعالى في ذكر قصـــة نبيه صالح عليه السلام مع قومـــه في سورة الشعراء: (الآيتان ١٥٣، ١٥٤) :﴿قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

- وعن قصة شعيب عليه السلام مع قومه، قـــال تعالى في الآيتين ١٨٦،١٨٥ من نفس السورة :

﴿ قَـــالُوٓا إِنَّمَآ أَنت مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿ومَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾

- نتساءل لمَ زيدت (الواو) في قول قوم شعيب عليه السلام له :

﴿ومَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ..﴾ ولم تأت في قـــول قوم صالح عليه السلام له ، حيث قالوا ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا..﴾ ؟

- الجواب : بتلاوة الذكر الحكيم نلاحظ :

١- نـــبي الله شعيب عليه السلام أمر قومه بأوامر عدة ـفدل ذلك على أن القوم كانوا أكثر إفسادا من قوم صالح عليه السلام ، وتنوع إفسادهم- ومما جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام لقومه، قوله :

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾
﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢)

---

(١) قواعد وفوائد للجوعي ص ٨٥ (٢) سورة الشعراء الآيات (١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤)

أمـــا مـــا جاء على لسان نبي الله صالح عليه السلام لقومه :﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الشعراء:١٥١)

٢- واقتصر رد قوم صالح عليه بقولهم : ﴿قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ – فالقول الثاني منهم وهو : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ : بدل للقول الأول وهو : ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾

– أما قوم شعيب عليه السلام : فلقد جاءوا (بالواو) في قولهم ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ لـــتكون الجملـــة نعـــتا ثانيا لنبي الله شعيب عليه السلام بعد قولهم : ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ – بل وزادوا فيها : ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(١)

فكـــان نعـــتا ثالـــثا منهم لنبيهم – وأعقبوا كل هذا بقولهم له : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٢) – فردوا على نبيهم بأشد مما ردَّ به قوم نبي الله صالح عليه السلام – وجاءوا (بالواو) لزيادة نعتهم لنبيهم ووصفه بعدة ادعاءات باطلة

********** ********** **********

سورة النمل

جاء في افتتاحيه هذه السورة الكريمة قوله تعالى :

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل:١)

- السؤال لمَ نُكرَ الكتاب وعُرفَ القرآن ، وما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن ؟

---

(١) (الشعراء:١٨٦) (٢) (الشعراء:١٨٧)

الإجابة ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر:٥٥) – أما بالنسبة إلى العطف : فكما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في مثل قولك " هـــذا فعل السخي والجواد الكريم " لأن القرآن هو المنزل المبارك فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل : تلك الآيات ، آيات المنزل ، آيات كتاب مبين(١)

ما أوجه الإعجاز في التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير بين افتتاحية سورة الحجر في قوله تعالى ﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر:١) وافتتاحية سورة النمل بقوله سبحانه ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل:١)

- نقول والله (أعلى وأعلم) بمراد آياته:

في الآيـــة الأولى أضاف الذكر الحكيم (الآيات) إلى (الكتاب)–والكتاب ذُكِر (في أغلب آيات القرآن) مقترنا بتنزيله ليعطي له صفته :(العلوية) حيث كان في السماء مكتوبا،ومعلوما قـــال سبحانه :﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾(٣)، وغيرها

وعُطـــفَ على (الكتاب) بكونه : (قُرْآنٍ مُّبِينٍ) ذُكِرَ بصيغة (النكرة) : للتفخيم ،ولتعطي له صـــفتـــه : (التنزيلية)– قال سبحانه : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾(٤)– وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾(٥)

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج ٢ ص ٨٤

(٢) النساء (١٠٥) (٣) الكهف (١) (٤) الإسراء (١٠٦) (٥) سورة طه (١١٣)

أما آية سورة النمل فتذكر صفتين للآيات، فبإضافتها إلى القرآن تعطيها الصفة (القرآنية) من كـــون القرآن قد اكتمل تنزيله، وصار في الصدور مقروءا ، وفي الأذهان معلوما - فجاء لفظ القرآن في هذه الآية الكريمة(مُعَرَّفـــا) : (تِلْكَ ءايَاتُ الْقُرْآنِ)- قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾(١) وقال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾(٢)

وعطف بقوله تعالى : (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) أي كونه مكتوبا (في المصاحف) ومبينا لسبل الهداية والفلاح - قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْءانٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾(٣) - فالآيتـــان : ﴿ الٓرٰ تِلْـــكَ ءايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءانٍ مُبِينٍ﴾ (الحجر:١) والآية : ﴿طسٓ تِلْكَ ءايَاتُ الْقُـــرْءانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل:١) - في ترتيبهما (المصحفي) ، تشيرا إلى المراحل التي كان كتاب الله العظيم عليها في ترتيب معجز-كذا ذكر صفات آياته القرآنية المحفوظة والبينةوالعظيمة

الآية : (٧) ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ- إِنِّي-ءانَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾

- من المعلوم أنه لم يكن مع نبي الله موسى عليه السلام إلا زوجته بنت الشيخ الكبير ، وكان قد تزوجها ، فكيف خاطبهـــا بخطاب جمع المذكر السالم ، وليس معهما أحد فقال لها :

﴿سَآتِيكُمْ ... ﴾ــ وقـــال : ﴿أوآتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ؟!

الإجابـــة : خاطبها بخطاب الجماعة ليخفف عنها ماتعانيه : في ليل حالك ، والبرد قارس على أشُـــده ، والـــرياح عاصفة ،والرعد يُسمع ، والبرق يُرى في صحراء قاحلة ،وقد ضلا الطريق وليس معهما أحد إلا الله ، فكان نبي الله موسى عليه السلام لها معينا ، ورفيقا ، ورحيما بها ،

---

(١) (القمر:١٧) (٢) (الرحمن:١، ٢) (٣) (الواقعة: ٧٧ ، ٧٨)

فخاطبها بخطاب (جمع المذكر السالم) وليس بخطاب (جمع المؤنث السالم) ، تقديرا لها ، ورفعا لروحها المعنويـــة ، حتى يهون عليها ما اعتراها في ظروف مناخية صعبة

– ولقد تنوع خطابه عليه السلام لها : بين التأكيـــد ، والترجي : فالتأكيد كان في قولـــه : ﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ..﴾ – وهذا يبعث الطمأنينة في نفسها أكثر من الدفء الحسي – لذا قدمه عن الإتيان بشهاب قبس والذي يكون منه الدفء

– ولقـــد قال : (**بِخَبَرٍ**) و لم يقل : (**بنبأ**) لأنه لايدري من يجده من الناس (عند هذه النار المشتعلة التي رآها) – هل يكون صادقا في إرشاد نبي الله موسى عن غايته التي يسأل عنها– أم يكون غير صادق ؟ ــ ثم كان استدراكه بقوله :

﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ راجيا الدفء لزوجته – وما قدمه نبي الله موسى في حديثه هـــو الذي حدث، غير أنه لم يكن خبرا بل كان نبأً – فكان أعظم حدث له وهو تكليم الله سبحانه وتعالى له – **فجاء منه بأجل ، وأعظم ، وأشرف نبأ**

قال سبحانـــه و تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ﴾ (طـــه:١١)

﴿إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ﴾ (طـــه:١٢)

الآيـــة ١٨) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾

–**قـــال بعض العلماء هذه الآية من عجائب القرآن** : لأن النملة كانت حكيمة ، وبليغة في خطابهـــا للـــنمل : فـــبقولها : (يا) : نادت – و (**أَيُّهَا**) :نبهت – (**النَّمْلُ**) : عينت – (**ادْخُلُوا**) :أمرت – (**مَسَاكِنَكُمْ**) : نصت – (**لايَحْطِمَنَّكُمْ**) : حذرت – (**سُلَيْمَانُ**) : خصت – (**وَجُنُودُهُ**) : عمت – (**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**): **اعتذرت ، فيالها من نملة ذكية** [1] – وقالـــت (**يحطمنكم**) و لم تقل يقتلونكم لأن التحطيم الذي تقصده أبلغ ، فهو يشمل قتل

---

(1) صفوة التفاسير : ج٢– ص ٤٠٦

وإحـــداث إصـــابات ، كذا تحطيم المعنويات ، فهم قوة عظمى ، وأنتم أيها النمل أمة ضعيفة ، فيالهـــا من قائدة حكيمـــة ، وبليغة في قولها

(الآيـــة رقـــم :١٩) ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّـــتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

– لمَ تبسم نبي الله سليمان عليه السلام ضاحكا ؟!

كان تبسم نبي الله سليمان عليه السلام سرورا ، بما سمع من ثناء النملة عليه وعلى جنوده بأنهم لايحطمـــنهم إلا وهـــم لايشعرون ـــ وهذا اعتراف من النملة بأن سليمان وجنوده أهل رحمة ، فأراد أن يبلغها سروره من قولها **فتبسم ضاحكا**- حتى لايقال إن تبسمه تبسم الغضبان ، فأكده بالضحك وهو من باب: الاحتراس في اللغة (راجع ما ورد في سورة القصص من هذا الباب) – (والله أعلى وأعلم)

(الآيـــة:٨٧) : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾

– (فَزِعَ) : فعل ماضي أُخْبِر به عن حدث في المستقبل – فمن استخدامات الفعل الماضي (في القرآن الكريم) التعبير عن حدوث أمر سيحدث في المستقبل، والتأكيد على وقوعه لامحالة ،كذا لتبيين هيئة الفعل باستحضار صورته ، ليجعل السامع كأنه يشاهد(١)

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله سبحانه ﴿ أَتَى~أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢) – وقولـــه تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ (٣)

****** ****** ******** *****

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٣٧ (بتصرف) (٢) (سورة النحل :١)

(٣) (سورة الفجر :٢٢)

سورة القصص

الآية الكريمة (٢٧) : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِن عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

– هذه الآية الكريمة فيها من الإعجاز القرآني مالا نستطيع أن نحصيه – ومن المسائل والأحكام ما يأخذ بالألباب – فسبحان من أنزل كتابه المبين والخالد ، والمعجز – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها– ومن هذه الأحكام والمسائل نورد ما يلي بتوفيق من الله العليم الحكيم

١– قوله : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ ﴾ – فيها عرض الولي ابنته على من يراه أهلا لذلك ، وهذه سنة قائمة (٥) – حيث عرض الشيخ الكبير ابنته على موسى عليه السلام ، لحديث ابنته عنه بعد أن سقى لهما موسى : ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَآ أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦) – ولقد عرض عمر رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما – قبل أ ن تتزوج من رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢–﴿.. إِحْدَى ابْنَتَيَّ.. ﴾ : لم يحدد أي البنتين : هل الكبيرة أم الصغيرة ، فلم يفاضل بينهما حرصا على شعور كل منهما ، وعدم تقييد الخاطب بواحدة بعينها ، دون الأخرى

٣–﴿.. هَاتَيْنِ.. ﴾ :أي اللتين رأيتهما عند(ماء مدين) ، وسقيت لهما ، هما اللآتي أعني دون غيرهما ، ومنه أن الحكمة تقتضي أن يرى الخاطب خطيبته ، ويعرفها

٤– ﴿عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ اشترط الشيخ مهرا ، وهو أن يعمل نبي الله موسى عليه السلام عنده ثماني حجج (هذا هو الصداق المسمى بينهما)

٥– قال : ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ .. ﴾ : ولم يقل ثماني سنين ، ولاثمانية أعوام لِمَ ؟ ! – لأن السنين تُذكَر عندما تكون أيامها مشقة وعناء ، والشيخ لم يُرِد أن يرهق نبي الله موسى عليه السلام في

عمل شاق في تلك الفترة المحددة لقولـــه : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ . .) – كذا لم يقـــل (ثمانـــية أعوام) : لأن الأعوام تُذكّر عندما تكون أيامها رخاء ورفاهية ، وهذا لايليق ذكره في تواجـــد بنتين في سن الزواج – لذا قال ثماني حجج ، وهي مدة محددة بالشهور القمرية ، حيث هذا هو التقويم المعمول به عند الأهل الإيمان

٦ –الآية تشير إلى أن الحج لبيت الله الحرام كان معلوما – وزمنه معروفا – ولقد حج البيت نبي الله موسى عليه السلام – رُوِى عن ابن عباس عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنه قال : (**أما موسى كأني أنظر إليه إذا انحدر الوادي يلبي** (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ ص ٤١٤)

٧- وقـــول الشيخ الكبير﴿.. **فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ** .. ﴾ : أي فإن اتممت المدة عشـــرا – فهـــذا تفضل منك ، يريد الشيخ الكبير أن يفتح بابـــا من التفضل أمام موسى عليه السلام ، ليأصـــل الرباط بينهما

٨- ﴿ .. **وَمَـــا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ** ..﴾ نفى أن تكون إرادته المشقة على نبي الله موسى عليه السلام حتى يكون ذلك أدعى للتراحم بينهما ، فلقد حدد مهرا واجبا ، وتتمة له بالاختيار تَفَضُلا ، وأحاطه بالرحمة والمودة تقربـــا

٩- ﴿ .. **سَتَجِدُنِي~ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ ولبعث الطمأنينه في نفس موسى عليه الســـلام لكل ماهو آت ،وسنوات العمل المُقدم عليها- قال له ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ – ولقد راعى الشيخ الاستثناء بقوله : ﴿**إِن شَآءَ اللَّهُ** ﴾ فأحداث المستقبل كلها بيد الله فما كان مستقبلا ، فلنقدم المشيئة بقولنا : (**إِن شَآءَ اللَّهُ** ﴾

(هكذا علمتنا الآية الكريمة كيف تُبْنَى لبنات المجتمع المؤمن– ألا وهي الأسرة المؤمنة)

– الآيـــة (٣٢): قولـــه تعالى لنبيه موسى عليه السلام ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَـــآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ﴾ مـــن البلاغة في القرآن ما يسمى (بالاحتراس) : وهو أن يكون

الكلام محتملا لشيء بعيـــد فيؤتى بما يدفع هذا الاحتمال- وفي هذه الآية الاحتراس بقوله (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) : عن إمكان أن يدخل في ذلك أن بياض اليد بسبب البهق أوالبرص [1]

وأعجب احتراس في القرآن

قوله تعالى مخاطبا نبيه محمـــد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة في الآية (٤٤):

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وقال سبحانه وتعالى مخبرا عن موسى عليه السلام :

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم:٥٢)

لمـــا أخبر الحق سبحانه وتعالى كون رسوله محمـــد صلى الله عليه وسلم لم يكن بالمكان الذي قضى إلى موسى عليه السلام الأمر ، عَرَّفَ المكان "بالغربي" و لم يقل في هذا الموضع : "الأيمن" تكـــريما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أن ينفي عنه كونـــه بالجانب الأيمـــن ، أو يسلب عنه لفظا مشتقا من (اليُمْن) أو مشاركا لمادته- أما عندما أخبر عن موسى عليه السلام قال ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ذكـــر الجانب الأيمن تشريفـــا لموسى عليه السلام فذكر في المقامين تشريفهما ، ولتتعلم الأمة عظيما في الأدب في الخطاب (البرهان ج٣ ص ٦٧-بتصرف)

********** ********** *********

﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ ..... ﴿ وَأَخِي هَارُونُ ... ﴾

الآية (٣٠)قال فيها الحق سبحانه على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿ هَارُونَ أَخِي﴾

- وجاء على لسان موسى عليه السلام : (في سورة القصص الآية ٣٤) ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾

فهل هناك فرق بين قول موسى عليه السلام: ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ و قوله : ﴿ أَخِي هَارُونُ ﴾ ؟

([1]) البرهان ج ٣ ص ٦٥

نعم والله إن كتاب الله لمعجز ودقيق غاية الدقة في كل موضع منه ، ولاتنتهي عجائبه والتعلم منه - فعندما قَدَّم موسى عليه السلام ذِكر اسم أخيه : (هارون) قبل نَسَبِه إليه، في معرض حديثه إلى الله عـــز وجل في قوله : ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ - إنما كان يُظْهر ، محبته لأخيه هارون ، لذا قدم اسمه قبل انتسابه إليه ، ألا ترى أنه قدم الدليل على محبته له أنه هو الوحيد الذي يراه يشدد أزره فقال :﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ (١) وطلب من ربه أن يشركه في أمره﴿وَأَشْرِكْهُ فِي~ أَمْرِي ﴾ (٢)

ولا تكـــون المشاركة في أمرٍ إلا عن حب ومودة بين الطرفين - ولقد أثبت موسى عليه السلام هذه المحبة التي بينهما بقوله للحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ (٣) (بصيرا) .. بما رأيته علينا من علامات هذه المحبة ظاهرة علينا

- ثم أي محبة لأخ تلك التي أظهرها موسى عليه السلام في حديثه إلى ربه عز وجل عندما قال : ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ (٤) - إنه يـــود أن يشرك أخاه معه في عـــبادته لله عـــز وجل (تسبيحا وذكرا) ، أبعد هذا حب !- لذا قدم اسمه اعزازا به فقال: (هَارُونَ) ،ثم ذكر انتسابه له فقال : (أَخِي)

- ونـــتذكر (الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) في قصة نبي الله يوسف عليه السلام - والذي كـــان سجينا مع يوسف عليه السلام – كيف أظهر الحب ليوسف عليه السلام عند لقائه به في سجنه وبعد عدة سنين بقوله : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾ (يوسف: من الآية٤٦) فقدم اسم يوسف عليه السلام فقال: (يُوسُفُ)- قبل ذكره لصفته عليه السلام : ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾- وقبل طلبه الْفُتيا من يوسف عليه السلام ، لرؤيا الملك

---

(١) سورة طه (٣١) (٢) سورة طه (٣٢) (٣) سورة طه (٣٥)

(٤) (طـــه:٣٣ ، ٣٤)

- أماعندما قال ﴿أَخِي هَارُونُ﴾ : قدم انتسابه له بأنه أخوه لأن ما بعدها قول موسى في نفس الآية : ﴿.. هو أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص الآية٣٤)

فلقد تحدث في سياق حديثه هنا عن صفه جسدية وهي " فصاحة اللسان وانطلاقه" وهي صفة وراثية ، فناسب ذلك أن يقدم انتسابه له فقال : (أَخِي) قبل نطق اسمه : (هَارُونُ)

- فموسى عليه السلام كان يشترك مع هارون في الصفة الوراثية فصاحة اللسان ، إلا أنه جاء بأفعل التفضيل (أَفْصَحُ) : أي أن أخي يزيد عني في الفصاحة

كذا قوله :﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً ﴾ أي عونا لي ونصيرا ، وهذه تكون أقوى بصلة الدم - لكل هذا قدم موسى عليه السلام (إخوته) لهارون عليه السلام فقال:

﴿أَخِي هَارُونُ ... ﴾

********* ********* *********

سورة العنكبوت

الآية : (١٥) قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَآ ءايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

نسأل : لم خُصَّ هذا الموضع من قصة نبي الله نوح عليه السلام بذكر (السَّفِينَة) - رغم أنه ذُكِرَ في كل مواضع القصة في كتاب الله باسم : (الفلك)- كقوله تعالى :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾(١)- ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(٢) - وقال عز وجل :﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٣)- وقوله تعالى :

---

(١) الأعراف: من الآية٦٤ (٢) هود:٣٧ (٣) المؤمنون: من الآية٢٧

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١)؟

الجـــواب والله أعلى وأعلم : عندما تُذْكر "ملكية الفلك" ،فيذكر بلفظ (السفينة) ألا ترى قوله سبحانه وتعالى – في قصة نبي الله موسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف :

﴿فَانطَلَقَـــا حَتَّى~إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ (٢) وقوله تعالى :

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (٣)

ففي هاتين الآيتين صرح بمن يمتلك الفلك (وهم : مساكين...) فَذُكِر بلفظ: (السفينة) _ وفي قول الحق سبحانه ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ ذُكِر أصحابها فذُكِرت ب:السفينة ولكن من هم الذين أصبحوا أصحابا للسفينة ؟ و صرح الذكر الحكيم في هذه الآية بذكر هم ؟ وما مناسبة ذلك ؟

الإجابة : هذه الآية جاءت عقب قوله سبحانه وتعالى :

﴿وَلَقَـــدْ أَرْسَـــلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:١٤)

وفي هذه الآية ذُكِرَت المدة الكاملة التي قضاها نوح عليه السلام يدعو قومه ، و لم يكن من هذه المدة (إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً) تلك التي قضاها بينهم بعد الطوفان ،عندما استوت على (الجودي) وســـكن السفينة كل من حمل نوح عليه السلام فيها- فصارت لهم جميعا سكنا ومأوى ما قدر لهم ، وكانوا أصحابا لها بالمنفعة (والله أعلى وأعلم)

********** ********** ********

---

(١) الشعراء:١١٩ (٢) (الكهف:٧١) (٣) (الكهف من الآية٧٩)

- الآيــة (٣٩) جاء فيها :﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ - وقال عز وجل (في سورة غافر:٢٤) :

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾

ماحكمــة الترتيــب في الآيــة الأولى والــتي اقتضت القول:﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ﴾ وفي آية سورة غافر ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ﴾ ؟

الإجابة : الترتيب في (الآية الأولى) جاء في سياق ذكْر:(**تكبرهم**)، فكان قارون أكثرهم تكبرا ثم لكونه كان من قوم موسى (عليه السلام)، فبغى عليهم ، لقول العزيز الحكيم :﴿إِنَّ قَارُونَ كَــانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ (١) وقال قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (٢) - لذا سبق ذكْر: (قَارُون) ذكْر : (فِرْعَوْن وَهَامَان) في هذه الآية

- **أما آية سورة غافر**: جاء الترتيب فيها في سياق ذكْر: (**سبقهم في التكذيب**) برسالة موسى عليه السلام وفيها يسبق (فِرْعَوْنُ وَهَامَان) ، (قَارُون) لقــول الحق سبحانه وتعالى قبلهــا: ﴿وَلَقَــدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (غافر:٢٣) - (**ففرعون وهامان**) من بدء رســالة موسى (عليه السلام) قابلاه بالتكذيب - أما(**قارون**) فقد آمن بموسى عليه السلام وكان من قومه- ثم بإتيانه العلم بغى ، وكذب بالرسالة

-ونضــيف أيضــا : في الآيــة (٣٩) من سورة العنكبوت جاء قول الحق سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ جَــآءَهُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ أما في سورة غافر فجاء قبل الآية (٢٤) الآية: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ (٢٣) - فمجيء البينات في آية (**سورة العنكبوت**) تدل على الإتيان بالبراهين والأدلة العقلية والعلمية والتي تهدي العقل والفكر إلى الطريق المستقيم ، وارجاع العلم كله لله فناسب فيها أن يتقدم ذكْر(**قارون**) والذي إدعى العلم من عنده

---

(١) (القصص من الآية٧٦)

(٢) (القصص: من الآية٧٨)

- أما في آية (**سورة غافر**): فجاء فيها ارسال موسى (عليه السلام) بالآيات والسلطان المبين والتي كانت تكفي لإيمان(**فرعون وهامان**)فناسب في الآية (٢٤) أن يتقدم ذكْر (**فرعون وهامان**) : ذكْر(**قارون**) ، فانظر إلى بديع السياق القرآني في ترتيب الثلاثة ، بما يقتضيه السياق الجليل في كل آية- ولقد ذُكِرَ (**فرعون**) قبل (**هامان**) لأنه لولا ضَلال فرعون ، ما ضَلَّ هامان

********** ********** **********

سورة الروم

١- قال الله تعالى (في الآية :٤٢) من سورة الروم :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُشْرِكِينَ ﴾ - وقال عز وجل في سورة الأنعام (الآية ١١)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

لِمَ قيل في سورة الروم : (**فَانظُرُوا**) - وقيل في سورة الأنعام : (**ثُمَّ انظُرُوا**) ؟

الإجابة : الآية في سورة الروم : تحث على النظر في عاقبة المشركين ، وهو حَث يشترك فيه العلماء وغير العلماء ليأخذوا العبرة ، بمجرد رؤية آثار المشركين من الأمم السابقة ، وهذه العبرة تكفي لها نظرة واحدة ، لذا قال الحق : (**فَانظُرُوا**)

أما آية سورة الأنعام : فهي تطالب بمنهج آخر فيه التريث والتأمل ، ويستلزم دراسة علمية متأنية يخرج منها الباحثون بمزيد من التفاصيل ، ومزيد من النتائج والدلالات على عظمة الله في انتقامه من المكذبين - وضرورة اتباع منهجه فيما أمر به وما نهى عنه على لسان رسله الكرام لذا جيء ب (**ثم**) والتي تفيد التراخي مع (**انظروا**) ، فقال عز وجل :**﴿ ثُمَّ انظُرُوا﴾** [١]

---

[١] أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن : الدكتور شلتاغ عبود ص ١٣٤

ولقـــد أشار الكرماني إلى ذلك بقوله : أُمروا باستقراء الديار وتأمل الآثار وفيها كثرة فيقع ذلك سيرا بعد سير،وزمانا بعد زمان ليعلم أن السير مأمور به على حدة والنظر مأموربه على حدة(١)

٢- قال عز وجل في سورة الروم (الآية ٤٨)

﴿اللَّهُ الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ في السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ منْ خلاله فَإِذَآ أَصَابَ به مَن يَشَآءُ منْ عبَاده إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

-وقـــال سبحانه وتعالى في سورة فاطر: (الآيـــة٩) ﴿ وَاللَّهُ الَّذي-أَرْسَلَ الرِّيـــاَحَ فَتُثيرُ سَحَابا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا به الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلكَ النُّشُورُ ﴾

لمَ جاء في الآية الأولى : (يُرْسِل) وهو فعل مضارع وفي الثانية بالفعل الماضي (أَرْسَلَ) ؟

الإجابـــة : في ســـورة الروم وقبل الآية (٤٨) جاءت الآية ٤٦ : ﴿وَمنْ ءايَاته أَن يُرْسِلَ الـــرِّيَاحَ مُبَشِّـــرَاتٍ وَلِيُذيقَكُم من رَحْمَته وَلتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلتَبْتَغُوا من فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

فجاءت الآية ٤٨على نفس النسق من التعبير (بالزمن المضارع)، كما أن التعبير بالفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرارية والآية يُذْكَر فيها نِعَم الله الدائمة على عباده واستبشارهم بها -أما الآية الثانية جاء الفعل فيها بصيغة الماضي: (أرسل) ليفيد التحقق بإحياء الأرض بعد موتها وكذلك يكون نشور الخلق يوم يبعثون ، فالسياق: سياق حقائق ثابتة، فجاء الفعل على صيغة الماضي

******* ******** ******

---

(١) أسرار التكرار ص ٦٥

سورة لقمان

قـــال الحق سبحانه في الآية : (١٤) ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

وجـــاء في سورة الأحقاف (من الآية ١٥) : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً... ﴾

الآيتان الكريمتان تعطيان الحقائق والدلالات التالية :

١- **الآية الأولى** : تذكر مدة الفصال : (أي الرضاعة) بأنها تبلغ : (**عَامَيْنِ**) أي ٢٤ شهرا – **والآية الثانيـــة** : تذكر مدة الحمل والفصال معا : (**٣٠ شهرا**) –وعلى ذلك تكون أقـــل مدة حمـــل هي : (٣٠ شهر – ٢٤ شهر) = ٦ أشهر

٢- **في الآية الثانية** زاد بالقول الكريم : (**إِحْسَاناً**) لما يلي (والله أعلى وأعلم) :

أ- لأن هذه الآية ذَكَرَت بأن الحمل كان كُرْهَا ، والوضع كان كُرْهَا

ب- ذِكْر الفصال فيها مع أقل مدة للحمل (٦ شهور) والتي تستلزم رعاية كبيرة لمولود تلك المدة من الحمل ، **فناسب ذلك أن يزيد بالقول: (إِحْسَاناً) توصية بالوالدين** على ما قدما

٣- **في الآيـــة الأولى** ذُكِر تمييز مدة الفصال بعامين ولفظ العام يذكر عندما يكون الأمر فيه ما يُسْعِد فكان فصاله مبعثا لسرور أهله دل عليه قوله تعالى(**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**)و لم يقل وفصاله في سنتين- **أماالآية الثانية** ذُكِرت مدة الحمل والفصال بالشهور على عموم ذكر المـــدد والتواريخ

قاعدة في قول الذكر الحكيم : (نجينا) ، و(أنجينا)

أ) مجيء الفعل (**نَجَّيْنَا**)في كتاب الله عز وجل : له "ضابطان " – (والله أعلى وأعلم) :

الضـــابط الأول: يـــأتي الفعل : (**نَجَّيْنَا**) أو (**نَجَّاهم**) (بتشديد الجيم) : **ليـــدل على الكثرة ، والمبالغـــة** ، أكثر مما يدل عليه الفعـــل : (**أنجينا**)– ولنتدبر الآيات الكريمة :

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَآئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١)

فالنجاة كانت لنبي الله نوح عليه السلام ومن معه ، وكان التكثير بهم بأن جُعلوا خلائف في الأرض ، وجاءت منهم الذريات

- وقوله عز وجل في سورة الشعراء (الآية ١٧٠) عن نجاة نبي الله لوط عليه السلام ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ - ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ (١٧١) - وفي سورة الصافات عن نجاة لوط عليه السلام قال الحق سبحانه ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (٢) ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الصافات:١٣٥) - فمجيء القول الكريم (أَجْمَعِينَ) : يدل على أن النجاة شملت جميع الأهل ، عدا امرأته - لذا جاء الفعل (نَجَّيْنَاهُ بالتشديد) في هاتين الآيتين

وفي قوله وتعالى ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٣) كانت النجاة للمؤمنين المتقين

ومثلها في سورة العنكبوت(٦٥) ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فحدثت النجاة للجميع - وفي سورة لقمان من الآية٣٢ ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ، فقد تمت النجاة ، وكان منهم المقتصد ، ومنهم الكافر

********* ********* *********

الضابط الثاني: يأتي ذكر اسم النبي عليه السلام صراحة في الآية، مع الفعل : (نَجَّيْنَا) في أغلب مواضعه.

---

(١) (يونس:٧٣) (٢) (الصافات:١٣٤) (٣) (فصلت:١٨)

قال سبحانه : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾(١) - ذكر اسم النبي هود عليه السلام ، ونجاته والذين معه

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(٢)- ذُكرَ اسم النبي صالح (عليه السلام) ، ونجاته والذين معه

وقال تعالى﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(٣) فذكر اسم نبي الله شعيب عليه السلام

ويخالف هذه القاعدة (بمجيء اسم النبي مع الفعل: أنجينا) موضع في سورة الشعراء (الآية ٦٥) ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء:٦٦) - فذكر اسم نبي الله موسى عليه السلام هنا لأن سرد الأحداث في السياق القرآني قبلها ذُكرَ فيها فرعون واتباعه موسى ومن معه : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (الشعراء:٦١) - فاستلزم السياق التصريح بذكر اسم نبي الله موسى صراحة دون الضميرالعائد عليه بعد قوله تعالى : (وَأَنْجَيْنَا) للتأكيد على نجاته هو - حتى لايرجع الضمير إلى غيره في النجاة

- أما الفعل (أنجينا) فجاء في قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾ (الأعراف:٦٤) : فلم يُذكر اسم نبي الله نوح عليه السلام - و لم يأت السياق القرآني الكريم بما يدل على الكثرة كما ذكرنا في الآية : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴾

---

(١) هود:٥٨) (٢) (هود:٦٦) (٣) (هود:٩٤)

ـ والذي ذكر فيه الكثرة بجعل الذين نجوا (**خَلائفَ**) ـ أما في ذكر الإنجاء في آية الأعراف (٦٤) والتي نحن بصددها جاء الفعل: (**فَأَنْجَيْنَاهُ**) وذكربعده الإغراق لكل الجموع المكذبة

-فانظـــر إلى الدقة الفائقة في ورود الفعل الدال على النجاة في كل من الآيتين الكريمتين ، وهما تتحدثان عن حدث واحد وهو : نجاة نبي الله نوح (عليه السلام) ، ولكن لكل موضع كريم إعجازه ، وبلاغة ألفاظه التي استدعت مجيء الفعل (**فَنَجَّيْنَاهُ**) في موضع والفعل (**فَأَنْجَيْنَاهُ**) في موضع آخر ليناسب كل فعل السياق القرآني الكريم -

وعلى نفس قاعدة الفعل(أنجينا)قول الحق سبحانهفي (سورة البقرة:٥٠) لم يذكر اسم النبي ، وجاء ذكرالإغراق: ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾

- كذا في (الآية٥٧)من سورة النمل لم يأت فيها ما يدل على الكثرة ،و لم يذكر فيها اسم النبي لوط عليه السلام فجاء فيها الفعل : (**فَأَنجَيْنَاهُ**)- قال عز وجل :

﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ (النمل:٥٧)

وجاء بعدها : ﴿**وَأَمْطَرْنَـــا عَلَيْهِم مَطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ** ﴾ (النمل:٥٨)

********** ********** **********

سورة السجدة

الآية (٥) من السورة : ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾

بحث جديد في فهم هذه الآية (١)

(١) هـــذا البحث قـــام به الدكتور / منصور محمد حسب النبي – أستاذ الفيزياء بجامعة عين شمـــس – وألقاد في مؤتمرات علمية بموسكو ومكة المكرمة ، والقاهرة- والبحث درة من دُرر=

- هذه الآية فهمها الكثيرون خطأ : بأن هذه الآية تهدف لبيان عمق السماء بمسيرة خمسمائة عام ، ذهابـــا وأخرى مثلها إيابـــا - ليكون المجموع : ألف سنة مما نعد نحن البشر - **وهذا التفســـير مرفوض** لأسباب أوردها الدكتور/ منصور محمد حسب النبي - أستاذ الفيزياء بجامعة عين شمس - في **كتابه : الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية**

وفي بحـــثه العـــلمي والقيم ، تناول كل لفظ من ألفـــاظ هذه الآية الكريمة بالتدقيق والبحث المستفيض ، **والذي انتهى به إلى حقيقة علميـــة تفرد بها بحثه ولم يسبقه إليها أحد قبله :**

إلى أن (**الأمـــر**) **الوارد في هذه الآية في قوله تعالى : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) - هو : الضوء ، وأن سرعته هي القيمة المطلقة الوحيدة في الكون**

وأن قيمة سرعة الضوء والتي توصل إليها سيادته من النص القرآني في هذه الآية ، وبعد حسابات دقيقة ومعادلات رياضية قام بها من هدي هذه الآية، توصل أنها تبلغ : ٢٩٩٧٩٢,٥ كم / ثانية تلك القيمة التي توصلت إليها البشرية بعد أبحاث دامت نحو ٣٥٨ سنة بدأت من عام ١٦٠٠ م حـــتى عام ١٩٥٨ م- وفي مختبر فروم بإنجلترا - توصل العلماء إلى نفس هذه القيمة لسرعة الضوء- والتي ذكرها القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا.

- قال العليم الحكيم سبحانه وتعالى (في الآية ١٢) :

﴿وَلَـــوْ تَـــرَى إِذِ الْمُجْـــرِمُونَ نَاكِسُواْ رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

- نجـــد في جميع سور القرآن الكريم : **السمع** ومشتقاته يسبق **الإبصار** ومشتقاته ، ما عدا هذه الآية فإن قولهم : (**أَبْصَرْنَا**) سبق : (**سَمِعْنَا**) - فَلِمَ ذلك ؟

= العـــلم -ورأينا أن نقدم إشارة عنه للقارئ: إظهارا لعظمة كتاب الله ، وبيان إعجازه المبهر ، ودقة ألفاظـــه ، وسبقه للعلم الحديث في اكتشاف قيمة سرعة الضوء

للإجابة نقول (والله أعلى وأعلم) : قولهم هذا لم يكن في الحياة الدنيا ، ولكنه في مشهد من مشـــاهد الأخرة ، وقد أبصروا وعاينوا ما سيؤول إليه مصيرهم - فالإبصار يوم القيامة له التأثير الأقوى والأشد ،والمؤ لم عليهم - لذاسبق الإبصار السمع في هذه الآية الكريمة

قال الحق سبحانه : (في سورة ق الآية ٢٢)

﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

- أما ذكر(السمع) فدائما ما يسبق ذكر (الإبصار) ، في أمور الحياة الدنيا لأنه أسبق فى الاحساس من الإبصار ثم إنه أداة الهداية في الدنيا وجزاء الهداية يكون في الأخرة فتعاينه الأبصار- قال عز وجل

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي~أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)

- الآية الكريمة(٥٧) في الكهف يقول عز وجل فيها :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي~ءاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوآ إِذاً أَبَداً ﴾

- وفي سورة السجدة :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾(٢٢)

- نجد في سورة الكهف : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ..﴾

وفي سورة السجدة : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾

فما دلالة إلحاق الفاء بالفعل (أَعْرَضَ) في سورة الكهف - ومجيء (ثم) قبل الفعل (أعرض) في سورة السجدة ؟

الإجابـــة : آية (**سورة الكهف**) تتحدث عن الأحياء من الكفار ، الذين ذُكروا بآيات ربهم ، فأعرضوا عقب ما ذُكروا بها ولمجيء الإعراض عقب التذكير،**أُلحقت الفاء بالفعل (فَأَعْرَضَ)**

- أما في آية (**سورة السجدة**) كانت في سياق ذكرحال الأموات من الكفار بدليل قوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَى~ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة:١٢) – وكان أن تطاول عليهم العهد وذُكروا مرة بعد مرة ، وزمانا بعد زمان ، ثم جاءهم الموت ، وانقطع رجاء عودتهم إلى دين الله ومنهجه [١] – فكانت (ثم) أليق بهذا التراخي في المدة بما ناسب الحال

********** ******** **********

سورة الأحزاب

نداء الحق سبحانه وتعالى على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)

جاء نداؤه سبحانه وتعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم ب ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ في القرآن الكريم ١٣ مرة – في السور التالية :**سورة الأنفال** : الآيات (٦٤ ،٦٥، ٧٠) – **سورة التوبة** (الآية ٧٣) – **سورة الأحزاب** (الآيات :١ ،٤٥،٢٨، ٥٠ ،٥٩) – **سورة الممتحنة** (الآية ١٢) – **سورة الطلاق** (الآية١) – **سورة التحريم** (الآيتين١، ٩)

ونلاحظ:أنها جميعها (سور مدنية) وقد افتتحت ثلاث سور منها بالنداء :﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وهي سور (**الأحزاب** ، **الطلاق** ، **التحريم**) وأكثر ورود لهذا النداء جاء في (**سورة الأحزاب**)

– وأول آية نزلت على رسولنا (صلى الله عليه وسلم) بهذا النداء: الآية(٦٤) من سورة الأنفال بقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾– وتليها الآية التي بعدها في نفس السورة :﴿ يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ وآخر آية نزلت بهذا النداء الآية (٩) من سورة التحريم : -﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

– والآيات الكريمة التي ورد فيها هذا النداء تناولت من الموضوعات ما يلي :

---

(١) بلاغة العطف في القرآن ص ٩٠(بتصرف)

١- جهاد الكفار والمنافقين ورد في الآية: (٦٥ من سورة الأنفال) والآية (٩) من سورة التحريم

٢- أمـــور خاصة بزوجاته أمهات المؤمنين ، ونساء المؤمنين كما جاء في سورة الأحزاب(الآية ٥٩) ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى~أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ - والآية (٨) من سورة الطلاق : ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾

٣- إرساله صلى الله عليه وسلم للناس كافة كما جاء في قوله سبحانه تعالى :
﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (الأحزاب الآية : ٤٥)

- أما عندما يكون النداء ب (يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ) : يكون خاصا بالدعوة لدين الله عز وجل
﴿ يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ (المائدة: من الآية٤١)

﴿يَـآ أَيُّهَـا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة:٦٧)

والنداء ب:(يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ) جاء في سورة (المائدة) فقط – والنـــداء من الحق سبحانه لنبينا (صلى الله عليه وسلم): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي.. ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ... ﴾ جاء في سور مدنية

********** ********** **********

قوله تعالى في الآية (٦) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

قـــول الحق سبحانه : (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) أي: في الحرمة والاحترام ،وإنما جعلهن الله عز وجـــل أمهـــات للمؤمنين ،لأنه سبحانه وتعالى أراد أن تدعو أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) أزواجه(رضي الله عنهن) بأشرف ما تنادى به وهو :(الأم) وجعلهن كالأمهات إجلالا لنبيه لئلا يطمع أحد في نكاحهن من بعده (صلى الله عليه وسلم)

و لم يجعل نبيه كالأب،فقال عز وجل﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ (الأحزاب:٤٠) لأن أشرف ما ينادى به النبي (صلى الله عليه وسلم) لفظ: الرسول، أو النبي -لا(الأب) ،ولو

جعله أبا للمؤمنين لكان أبا للمؤمنات أيضا فَيَحْرم عليه ، وذلك ينافي إجلاله وتعظيمه (صلى الله عليه وسلم) ولأنه سبحانه وتعالى جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهذا أعظم من الأب في القرب والحرمة ، إذ لا أحد أولى للمؤمن من نفسه إلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)- ولأن من الآباء من يتبرأ من ابنه ، ولا يمكنه أن يتبرأ من نفسه (فتح الرحمن : ص ٤٥٨ – بتصرف)

********** ********** **********

سورة سبأ

- قال تعالى في الآية (٣) من هذه السورة: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلآ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

–وفي الآيـــة (٢٢) منها : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ﴾

وفي سورة يونس (الآية ٦١) ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءانٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَآءِ وَلآ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

– للسائل أن يسأل :عن تقديم :(السَّمَاوَات) عن :(الْأَرْض) في الموضعين من (سورة سبأ) وعن تقديم : (الْأَرْض) على : (السماء) في سورة يونس ؟

الإجابـــة : قدم ذِكْر (السَّمَاوَاتِ) على (الأرض) في سورة سبأ- لأن هذه الآية مبنية على مفتـــتح الســـورة وهو : ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (ســـبأ:١) – فقدم ذكر السماوات لأن ملكها

أعظم وأكبر سلطانا ، أما (في سورة يونس) فقدم ذكر (الأرض) إشارة على علمه سبحانه بما يتصرف به العباد من خير أو شر وذلك على الأرض فأتمه بقوله تعالى (في سورة يونس :٦١):

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ واستوعب جميع ما في الأرض ثم اتبعه ذكر السماء لأن ابتداء الآية وقع فيه ما يتعلق بالأرض ، لذا قدم ذكر الأرض على ذكر السماء [١]

********** ********** **********

سورة فاطر

– من الآية : (١٠) في هذه السورة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

– لِمَ قال الحق سبحانه : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ) و لم يقل إليه (يعْرُج) كقوله تعالى :

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ:٢) فما يُبْعث من الأرض إلى السماء تكون حركته " عروجا "

– ولِمَ قال في العمل الصالح : (يَرْفَعُهُ) ؟

الإجابة :أولا قال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٢] فالله سبحانه وتعالى معنا أينما كنا . قال تعالى (في سورة الزخرف:٨٤)

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

– فلا يقال " إليه يعرج " ولكن يقال : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)

---

[١] (درة التنزيل ص ٢٧٦)

[٢] (الحديد: من الآية٤)

– أمـــا العمـــل الصالح ، الله عز وجل يرفعه بنفسه سبحانه ـــ و لم تُحدد الجهة التي إليها يُرْفع العمل الصالح ، وقد يكون المرفوع هو: نتيجة هذا العمل – و(الرفع) يكون إليه سبحانه ، وقد يكون الرفع : هو تخليد العمل في الحياة الدنيا أيضا ببقاء أثره إلى ما شاء الله

ثانيا : صعود الكَلم الطيب يكون (بذاته) التي قدرها الله عز وجل – والعمل الصالح رفعه يكون بقدرة ومراد الله عز وجل ، فأي عزة تلك للمؤمن : **الذي يصعد كلمه ، ويرفع الله عمله !**

قال الحق سبحانه﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١

وفي سورة فاطر ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢

– لِمَ قيل في الآية الأولى : (مَوَاخِرَ فِيهِ) – وفي الآيـــة الثانية : (فِيهِ مَوَاخِرَ) ؟

– **الإجابة** : يبدو أن تقديم (مَوَاخِرَ) في الآية الأولى **يوجه الأنظار إلى الفلك نفسها** من حيث إنهـــا هـــي الســـبيل إلى استثمار البحر ، وتسهيل السير فيه ـــ وفي الآية الثانية حيث قدم الجار والمجرور على المفعول (مَوَاخِرَ) – حيث يسوقنا التعبير إلى **نعمة البحر نفسه** ، من حيث إنه آية مـــن آيـــات الله عز وجل في فوائده الجمة ، وما يؤكل منه من لحم ، والحلي التي تستخرج منه والسفن التي تجري فيه – وإلى آخره (والله أعلى وأعلم) (٣

– قال عز وجل في الآية (٣٢) :

﴿ثُـــمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

---

(١) (النحل من الآية١٤) (٢) (فاطر من الآية١٢) (٣) أسرار التشابه الأسلوبي ص ٩٠

- لـــمَ قـــدم الحق سبحانه وتعالى الظالم لنفسه ، وأخر السابق بالخيرات ، وإنما يقدم الأفضل ؟

الإجابة : يقدم في بعض المواضع الأدنى وذلك من باب الانتقال من الأدنى إلى الأعلى قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ والحياة أفضل - وقال تعالى : ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ (١) - والنهار أفضل (٢) - ويقول الزمخشري عن التقديم والتأخير في الآية (٣٢)من سورة فاطر :قد تكون لكثرة العدد فقدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق للأذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل (الكشاف ٣/٣٠٩)

******** ******** ********* ********

وجه من وجوه إعجاز القرآن : (الإعجاز الخطي)

الرسم المصحفي ل " التـــاء " مفتوحة ، أومقبوضة (٣)

١- (سُنَّتَ) .. ، و (سُنَّةُ)

﴿اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِه فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر:٤٣)

وردت كلمة (سُنَّة) مفتوحة التاء (سُنَّتَ) فَلِمَ كُتبت كذلك ؟ وما السر في هذا ؟

- القـــرآن الكريم معجز في كل لفظ فيه ، وهو محفوظ من كل خلل في ألفاظه وفي تراكيبه وفي معانيه كذا في مناهج رسم كلماته المقروء ة في صفحاته الورقية - ونقول : إن ماجاء من كلمة

---

(١) (آل عمران: من الآية٢٧) (٢) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ١٣٦

(٣) مقالة الدكتور عبد العظيم المطعني بمجلة منبر الإسلام عدد(٧) السنة ٦١ ص ١٢ وما بعدها

(سُنة) مقبوض أو مربوط (التاء) ، جاء **على الأصل لايبحث عنه و لا فيه** ، أما ما جـــاء على خلاف الأصل فهو الذي يجب البحث عن دلالاته وأسراره

وردت كلمة (**سُنَّتَ**) في هذه الآية مفتوحة ثلاث مرات ،في المرة الأولى أضيفت ل(**الأولين**) لفظـــا لا معـــنى – وفي المرتين الثانية والثالثة أضيفت إلى لفظ الجلالة " **الله** " ، وإن أضيفت ل (الأولين) لفظا فهي مضافة إلى الله (عز وجل) :معنى ، لأن التقدير: سنت الله في الأولين وفـــتح (الـــتاء)هنا جيء به لمعنى لطيف وهو الدلالة على أن المرادمن كلمة (**سُنَّتَ**) في هذا السياق : **هو الانتقام والعقوبة العاجلة التي لها ظهور في الوجود** ، وهذا لم يُدل عليه بلفظ أو جملة ، وإنما كان السبيل للدلالة عليه هو " صورة التاء مفتوحة "

ـ **وهذا نوع من الإيجاز من طراز فريد ، ليس له وجود إلا في كتاب الله** ، وهذا الإيجاز ليس مقصورا على هذا الموضع ، بل هو عام في كل المواضع التي جاءت (سنت) مفتوحة التاء كقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوآإِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (الأنفال:٣٨)

– وقوله تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾ (غافر:٨٥)

فهذه خمس مرات في هذه الآيات من كتاب الله عز وجل وردت فيها كلمة (**سُنَّتَ**) مفتوحة التاء وفيها إشارة لطيفة إلى أن المراد منها في المرات الخمس :

– الانتقام الذي وقع فعلا في الوجود ، إما حقيقة كما أهلك الله أقوام نوح و هود وصالح وإما إبعادا وتهديدا كما في خطاب مشركي العرب تهديدا لهم بإنزال العذاب الذي أوقعه الله حقيقة بالأمم السابقة

– **أما إذا جاءت (سنة) مقبوضة التاء** فإنها تشمل أمرين :

١– **الانتقام العاجل في هذه الحياة الدنيا** **٢–قوانين الله ونواميسه في خلقه**

- كقوله تعالى : ﴿ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الحجر:١٣)

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء:٧٧)

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب:٦٢)

٢ – والكلمة الثانية التي ندرسها على نفس النهج : **(امرأت) ..و (امرأة)**

جاء لفظ امرأة مفتوحة التاء في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران:٣٥)

-﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِهِ﴾ (يوسف:٣٠)

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف من الآية٥١)- ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ .﴾ (القصص:٩)

-﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ (التحريم من الآية١٠)

-﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحريم:١١)

وبالنظر في هذه السياقات القرآنية السبعة (في الست آيات السابقة) التي وردت فيها كلمة (امرأت)مفتوحة التاء تتبين لنا الحقائق التالية :

أولا : في المواضع السبعة **جاءت (امرأت) مضافة وأن هذه الإضافة إلىأسماء ظاهرة** لا إلى ضمائر بل هي إضافة إلى أسماء ظاهرة :نوح ، لوط عليهما السلام وعمران و العزيز وفرعون

ثانيا : إن كلمة " امرأت " في المواضع السبعة تدل على (ذات) معينة، أي :امرأة بعينها لايشترك معها غيرها، فهي ذات دلالة خاصة ، لا عامة

ثالثا : أن المضاف " **امرأت** " والمضاف إليه في كل موضع بينهما علاقات وروابط زوجية قائمة وينتج عن هذه الاعتبارات أن فتح " تاء " التأنيث فيها جاء رمزا إلى هذه المعاني ، و لم تكتب تاء مربوطة لتعطي هذه الدلالات فلله در القرآن الكريم ، وما أعظمه ، وما أعظم إعجازه من أي جهة نظرت إليه ، حتى رسم كلماته وحروفه معجز كنظمه وبلاغته ومعانيه

- أما" امرأة " ب" التاء " المقبوضة ففيها دلالة عامة على غير معينة من النساء كقوله تعالى

﴿ ...وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (النساء: من الآية١٢)

********** ********** ********

سورة يس

قراءة في ذكر " القرية " ، وذكر "المدينة " في القرآن الكريم

قال سبحانه في الآية ١٣ :

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

- ثم جاء بعدها ذكر الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى - فقال عز وجل :

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس.٢٠

فلمَ عَدَلَ الذكر الحكيم من ذكر (القرية) إلى ذكر (المدينة) ؟

أيضا في سورة الكهف :

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىَ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ (٧٧)

- ثم جاء بعدها : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً . .﴾ (الكهف:٨٢)

فما هي الفروق التي يمكن استخلاصها بين ذكر(القرية) و (المدينة)- من سياق ذكرهما في كتاب الله عز وجل ؟

نقول والله أعلى وأعلم : الآيات القرآنية تصور لنا في إشارات دقيقة حقائق عدة ، استدعت أن يأتي ذكر (القرية) في مواضع غاية في الدقة وبالمثل ما ذكرت (المدينة) إلا في مواضع غاية الدقة – والآيات تهدينا إلى حقائق ثابتة تعن لنا لأول مرة في بحثنا هذا :

الحقيقة الأولى : الهجرة من القريـــة إلى المدينـــة سلوك بشري من قديم الزمان :

١- ففـــي ســـورة يس :جاء المرسلون إلى أهل القرية (الذين هم أصحابها) ،والذين تربطهم صلات قرابة تجمع بينهم ، وضَّحها الرجل (الذي جاء من أقصى المدينة يسعى) هاتفـــا فيهم : ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) فهم جميعا قومه – ثم ماكان من حرصه عليهم أن قال عندما قيل له ادخل الجنة : ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

– ويتضح لنا : أن الرجل كان يحيا بين قومه في هذه القرية ثم نزح منها إلى (مدينة) تلك التي جاء من أقصاها يسعى ، ناصحا لقومه وعشيرته ، أن يتبعوا المرسلين

– كـــذا نفس التصور في (سورة الكهف): أن أبا الغلامين اليتيمين كان يقطن القرية التي جاء إلـــيها موســـى علـــيه السلام والعبد الصالح ، ثم نزح منها إلى المدينة ، وكان له في هذه المدينة غلامان من بعده- يتبين لنا ذلك من السياق القرآني :

﴿فَانطَلَقَـــا حَتَّى~إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ (الكهف من الآية ٧٧) وقوله تعالى بعدها ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ (٨٢)

الحقيقة الثانية الصالحون في(قديم الزمان) أقاموا في أقاصي المدن المترفة، وخارجها تجنبا للحيـــاة المدنية وما فيها من مغريات تتبين لنا هذه الحقيقة مما يلي

---

(١) (يَـــس:٢٠) (٢) (يَـــس:٢٦)

أ) موسى عليه السلام في الآية (١٥) من سورة القصص - يذكر القرآن أنه دخل المدينة على حين غفلة من أهلها - أترى الفعل : (دَخَلَ) يـــدل على أن إقامته كانت خارج هذه المدينة :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ .. ﴾

ب) والرجل الذي جاء ينصح لموسى عليه السلام جاء من أقصى المدينة يسعى:

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى~ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص:٢٠)

ب- ألا ترى أن الرجل الذي جـــاء إلى أصحاب القرية ، في (سورة يس) جـــاء من أقصى المدينة أيضا

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يـــس:٢٠)

الحقيقة الثالثة: - المدينة يظهر فيها جوانب من النظام الحاكم :

فالمديـــنة المنورة :كانت فيها بداية إقامة الدولة الإسلامية ، وتشكلت فيها معالم الحياة بكل جوانـــبها ، وانتظمـــت- قـــال الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَفْسِهِ ﴾ (التوبة الآية١٢٠

إقامـــة القيادات كانت في المدن : - ففي زمن يوسف (عليه السلام) سكنت القيادات السياســـية (الملك ، والعزيز) المدينة وظهرت فيها أوجه الترف – قال تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِامْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٠) ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً ﴾ (يوسف: من الآية٣١)

وأقام فرعون عليه لعنة الله في (مدينة) : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءاذَنَ لَكُمْ إِنَّ

هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف١٢٣)

التعامل بالعملات النقدية ظهر في المدن : قوله تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (يوسف من الآية٢٠)فالذي اشترى يوسف كان في مدينة- وفي الآية ١٩ سورة الكهف ﴿فَابْعَثُوآ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ~إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَاماً ﴾

القرية :

أ) كان نزول الوحي دائما على رجال من أهل القرى :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي~إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ (يوسف:١٠٩)

ب) غالباكان ذكر الإهلاك مقترنا بالقرى

- قال تعالى : ﴿ذَلِكَ أَن لَمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (الأنعام:١٣١)

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (هود١٠٠)

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٢)

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي~أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ (الفرقان: من الآية٤٠)

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي~أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى~إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص:٥٩)

ج) أكثر ذكر لأهل القرى بأنهم (ظالمون)

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ (النساء: من الآية٧٥)

﴿وَلُوطاً ءاتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (الأنبياء:٧٤)

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوآ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (العنكبوت:٣١)

- وأَصْحَابَ الْقَرْيَةِ (في سورة يس) : طغوا وتجبروا على المرسلين ، ومما قالوه لهم :

﴿قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (يـس:١٥)

وقولهم﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يـس:١٨)

- الآية (٤١) : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾

إن قلت : (الذرية) اسم للأولاد ، والمحمول في سفينة نبي الله نوح (عليه السلام) هم (آباءهم) ،لا ذريتهم – فلِمَ قيل :(حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) ؟

- الذرية من أسماء الأضداد عند كثير وتطلق على الآباء والأولاد والمراد هنا :الفريقان ، ومعناه حملنا آباءهم وأولادهم لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين ظاهرا (فتح الرحمن ص ٤٧٣)

- ونضيف (والله أعلى وأعلم) : ناسب ذِكْر حمل (الذرية) ، قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ فلو قيل : (حملنا آباءهم في الفلك المشحون) ما كان في ذلك من (آية) ولكن الآية لهم: أن تُذْكر الذريات (والتي في الأصلاب حينئذ)، وأن تحمل في الفلك ليكون منها التكاثر ومجيء الأمم والشعوب –كذا فإن الآباء سبب للذرية ،ولتقام الحجة على الذريات بهذا الحدث ، وبتلك الآية

********** ********** **********

سورة الصافات

- قال الحق سبحانه عن نبيه يونس (عليه السلام) :

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات:١٤٧)

يخبرنا الذكر الحكيم أن نبي الله يونس أرسله الله عز وجل بعد خروجه من بطن الحوت إلى مائة ألف أو يزيدون – فإلى أي عدد ذاك الذي تشير إليه هذه الآية الكريمة وخاصة القول الكريم : (... أَوْ يَزِيدُونَ) ؟

للإجابـــة نقول والله أعلى وأعلم : الذين أُرْسِل إليهم نبي الله يونس (عليه السلام) **بلغوا مائة ألـــف بالضـــبط** (وهم الذين يبلغون سن التكليف آنذاك) _ أما الذين هم دون سن التكليف أشار إليهم الذكر الحكيم بالقول : ﴿**أَوْ يَزِيدُونَ**﴾

فمـــن سيبلغ منهم سن التكليف بعد ذلك عددهم غير معين على وجه من التحديد الدقيق فقد يموت البعض منهم – لذا كان القول : ﴿**أَوْ يَزِيدُونَ**﴾ أبلغ ، لأنه لو قال : وأرسلناه إلى مائة ألـــف ويزيدون ، لكانت الواو عاطفة على صنف المعطوف عليه ، وكان العدد تبعا لذلك كما نقـــول نحن : تقريبا مائة ألف ويزيدون بعدد غير محدد – وحاشا للذكر الحكيم ، فإنه لايُقرب العدد ، ولكنه يحدده بدقة ، فالذكر الحكيم بالغ الدقة في تعبيراته ، ، معجز في بيانه ، دقيق في ألفاظه – فاستخدم الذكر الحكيم (**أَوْ**) لدلالة ما أسلفنا

ألا ترى الدقة في تحديده للفترة الزمنية التي قضاها أصحاب الكهف فقال سبحانه :

﴿**وَلَبِـــثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**﴾[1]– فجاء بالواو العاطفة لتدل على أن الفترة بالتقويم الشمسي ٣٠٠ سنة – وبالتقويم القمري ٣٠٩ سنة قمرية ، ثم قال تعالى :

﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾ (الكهف: من الآية٢٦) – زيادة في الدقة وبأن هذه الفترة الزمنية نسبية حسب الأزمنة الأخرى في الكون ، كذا عند الله عز وجل

********** ********** **********

انتهى الجزء الأول نسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى اصدار الجزء الثاني من هذا البحث .... من سورة (ص) حتى سورة (الناس) نسأل الله التوفيق ، إنه نعم المولى ونعم النصير

انتهى العمل من هذا الكتاب بفضل من الله عز وجل **يوم : الأربعاء الموافق السادس من شهر رمضان المبارك – عام ١٤٢٥ هـــ** – الموافق ٢٠ من أكتوبر ٢٠٠٤ م

الباحث الإسلامي / السيد حامد السيد علي

---

[1] (الكهف:٢٥)

المصادر

١- البرهان فى علوم القرآن (بدر الدين محمد الزركشى) .. ط / مكتبة التراث

٢-درة التنزيل وغزة التأويل (الخطيب الإسكافى) .. ط / مكتبة التوفيقية

٣- أضواء علي متشابهات القرآن(الشيخ خليل ياسين) .. ط / دار الهلال

٤- أسرار التشابه الاسلوبى في القرآن (د. شلتاغ عبود) .. ط /دار المحجة البيضاء

٥- التبيان في إعراب القرآن (لإبن عبد الله العكبرى) ..ط /المكتبة التوفيقية

٦- الكشـــاف (الزمخشرى) .. ط / الحلبى

٧- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (الإمام أبى يحيى الأنصارى)
.. ط / دار القـــرآن

٨- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز : (مجد الدين الفيروزابادى)
..ط / وزارة الأوقاف- مصر

٩- الفصل والوصل في القرآن (د / منير سلطان) .. ط / دار المعارف

١٠- البيان في روائع القرآن (د/ تمام حسان) ..ط / الهيئة المصرية للكتاب

١١- من أسرار التكرار في القرآن (السيد حامد السيد) .. ط / الولاء الحديثة

١٢- مجلة منبر الإسلام (مقالات: د / عبد العظيم المطعنى تصدرها وزارة الأوقاف

*****

كتب صدرت للمؤلف:

- عظائم الأسرار في الكعبة المشرفة والشعائر المقدسة ١٩٩١م
- من أسرار التكرار في القرآن والآيات المتشابهات ١٩٩٨م
- اكتشافات وأبحاث جديدة في قصة ذى القرنين ٢٠٠٤م

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة	الموضـــوع	الصفحة	الموضـــوع	الصفحة
مقدمة الدكتور/		سورة يوسف	٣٨	سورة الشعراء	٧٣
عبد العظيم المطعنى	١	سورة الرعد	٤٠	سورة النمـــل	٧٩
مقدمة المؤلف	٢	سورة إبراهيم	٤٤	سورة القصص	٨٤
سورة الفاتحة	٣	سورة الحجر	٤٦	سورة العنكبوت	٨٨
سورة البقرة	٤	سورة النحل	٥٠	سورة الروم	٩١
سورة آل عمران	٨	سورة الإسراء	٥٣	سورة لقمان	٩٣
سورة النساء	١٠	سورة الكهف	٥٤	سورة السجدة	٩٦
سورة المائدة	١٢	سورة مريم	٥٦	سورة الأحزاب	٩٩
سورة الأنعام	١٥	سورة طه	٥٩	سورة سبأ	١٠١
سورة الأعراف	١٩	سورة الأنبياء	٦٥	سورة فاطر	١٠٢
سورة الأنفال	٢٧	سورة الحج	٦٨	سورة يـٰسٓ	١٠٧
سورة التوبة	٢٧	سورة المؤمنون	٦٩	سورة الصافات	١١١
سورة يونس	٣٠	سورة النور	٧٠	المصادر	١١٣
سورة هود	٣٤	سورة الفرقان	٧٠	الفهرس	١١٤

•• اللهم إن هذا العمل منك سبحانك، وإليك إبتغاء لمرضاتك.. فتقبله منا فضلا منك ياأكرم من سُئل .. وأجود من أعطى

والحمد لله رب العالمين